



رحمة الله تعالى
الامام احمد رضا القادري

رحمته
ممتاز احمد السديدي

المبايعة بالازهار الشريفه

الزمزمة القمرية فی الذب عن الخمریة

تألیف

الإمام أحمد رضا خان

القادرى البریلوى

تعريب

ممتاز أحمد سیدی

الباحث بالأزهر الشريف



بسم الله الرحمن الرحيم

التعريف بالمصنف وتأليفه

بقلم

فضيلة الشيخ محمد عبد الحكيم شرف قادري
- حفظه الله تعالى ورعاه -

الحمد لله الذي هدانا لهذا الذي كنا بالحيث المصطفى صلى الله تعالى عليه وسلم
واكرمنا بنعمة الإسلام . والصلاة والسلام على خير الأنام سيدنا ومولانا
محمد وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين . وبعد فإن
رسالة «الزمزمة القمريه في الذب عن الحمريه» والتي نحن بصدد
التعريف بها ومصنفها الإمام أحمد رضا خان القادري الحنفي والذي يعد
علما من أعلام الطريقة القادرية والفقه الحنفي في شبه القارة الهندية بما
فيها باكستان وبنجلاديش والهند والذي كان من كبار المصلحين في
منطقة شبه القارة . وما زالت مؤلفاته في شتى العلوم الإسلامية ودواوينه
في مدح الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم بالعربية والفارسية والأردنية
تحتل مكانة مرموقة في شبه القارة . وإننا سوف نحاول كشف الستار عن
جانب من جوانب شخصية هذا الإمام الجليل قدر استطاعتنا فنقول :

حظيت شبه القارة الهندية بعدد كبير من أولياء الله الصالحين على مر
العصور والسنين والذين دفعوا مسيرة الدعوة الإسلامية إلى الإمام . كانت
دعوتهم إلى الله سبحانه وتعالى على أساس الحكمة والموعظة الحسنة . وما
زال المسلمون في كل من باكستان وبنجلاديش والهند يحتفون بذكرهم
السنوية حبا وتقديرا وعرفانا بالجميل . ونذكر أسماء بعض أولئك

الطبعة الأولى

١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م

يطلب من :

Maktaba Qadria

Jamia Nizamia Rizvia Lahore (Pakistan)

Maktaba Rizvia

Data Darbat Markeet Lahore (Pakistan)

Idara-i-Tahqeeqat-e-Imam Ahmed Raza

25, Japan Mansion, 2Floor, Raza Chowk

(Regal)Sadar. Karachi(Pakistan)

الصالحين على سبيل المثال لا الحصر . منهم الشيخ على بن عثمان المحجوبى . والشيخ معين الدين الجشتى الأحمري . والشيخ نظام الدين الجشتى السديونى . والشيخ فريد الدين الجشتى . والشيخ بهاء الدين السهروردى الملقب بالشيخ أحمد النقشبندى السرهندى . وكان الإمام أحمد رضا خان أحد الأولياء الصالحين من أبناء الطريقة القادرية . والذي يحتفل المسلمون بذكراه سنوياً في مدينة بريلي بالإضافة إلى مدن هندية وبلاد أخرى .

إن حفاوة المسلمين بذكرى أولياء الله الصالحين في شبه القارة بما فيها اليوم باكستان وبنجلاديش والهند تشبه الاحتفالات التي تعقد بمناسبة أعياء الذكرى السنوية لأهل البيت وأولياء الله الصالحين في مصر نذكر من أهل البيت سيدنا الإمام الحسين . ومولانا على زين العابدين . والسيدة زينب . والسيدة رقية . والسيدة مكيبة . والسيدة فاطمة النبوية . والسيدة نفيسة نفيسة العلم والمعرفة . والسيدة عائشة بنت سيدنا الإمام جعفر الصادق رضي الله عنهم أجمعين ، ونذكر من أولياء الله الصالحين في مصر ، مولانا أبا الحسن الشاذلي (حيصره) والإمام عبد الرحيم القناني (قنا) . والإمام أحمد البدوي (طنطا) . والإمام إبراهيم الدسوقي (دسوق) والإمام الشافعي (القاهرة) . والإمام المرسى أبا العباس (الإسكندرية) . والإمام البوصري (الإسكندرية) والإمام عبد الحلیم محمود شيخ الأزهر الشريف سابقاً (بلبيس) والإمام محمد متولى الشعراوي (دقادوس) . وقد سعدت بزيارة أضرحة أغلبهم بصحبة الشريف وجاغت رسول القادري

في شهر جمادى الآخرة ١٤٢٠ هـ الموافق لشهر سبتمبر ١٩٩٩ م . حيث إن قبورهم تذكرونا بالآخرة ونحسنا على غير العمل ، والإقبال على الله . والإعراض عن الدنيا . ورحمهم الله رحمة واسعة .

من المعلوم أن الجد الثالث والرابع والخامس للمصنف تولى كل منهم مناصب حكومية عليا في أواخر عهد المغول بالهند . وقد استقال الشيخ أعظم على خان - الجد الثالث للمصنف العلامة - من منصبه الحكومي تفرغاً للعبادة . وكانت هذه نقطة انطلاق هذه الأسرة من المناصب الحكومية إلى الدعوة والإرشاد . ثم جاء دور مولانا الحافظ كاظم على خان - الجد الثاني للمصنف العلامة - فقد تولى منصب الصرافة في الجيش واستقال أخيراً من منصبه هذا رغبة في الدعوة والإرشاد والإقدام على العبادة لله - سبحانه وتعالى - أما مولانا محمد رضا علي خان النقشبندى - الجد الأول للمصنف الفاضل - فلم يفكر في الحصول على المناصب الحكومية الرفيعة بل انكب على دراسة العلوم الإسلامية والعربية . ثم وهب نفسه لنشر الدعوة الإسلامية ، ثم جاء الدور على مولانا محمد نقي علي خان القادري - والد المصنف - الذي نهل من فيض العلوم الإسلامية والعربية وأسهم في دفع الدعوة الإسلامية إلى الأمام .

هذه هي السلسلة الموجزة عن الأسرة الذي زهدت في الدنيا وأقبلت على العبادة والعلم وبالتالي لعبت دوراً ملموساً في النهوض بالأمة الإسلامية ورفع راية الإسلام عالية خفاقة . وقد كان هؤلاء الصالحين تأثير بالغ في نفس الإمام أحمد رضا خان . والشئ من معدنه لا يستعرب . فقد

كان جده الأول مولانا محمد رضا علي خان من أبناء الطريقة النقشبندية ومن كبار علماء الأحناف في الهند ، كما كان والده مولانا محمد نقسي علي خان من المتسبين إلى الطريقة القادرية ومن أعلام الفقه الحنفي في شبه القارة . هذا ولم نستطع أن نعرف عن أجداده إلى أى الطرق الصوفية كان اتمازهم ، والذي عرفنا عنهم أنهم كانوا من الزاهدين في الدنيا وتعيمها والراغبين في عبادة الله - سبحانه وتعالى - والآخرة .

بعد هذا التمهيد الموجز الذى نرجو ألا يكون مملاً نعود إلى الحديث عن العلامة المصنف فضيلة الإمام أحمد رضا خان ونصوفه المستمد من القرآن الكريم والحديث النبوى الشريف فنقول : ولد الإمام في بيت علم وفضل ، وفي أسرة متدينة تسير على منهج الشريعة والطريقة . وهكذا نشأ الإمام في جو روحى ، فكان منذ طفولته متقافاً للشريعة الإسلامية الغراء ، ويعود فضل نشئته على هذا النهج القويم إلى جده ووالده بصفة خاصة بعد فضل الله - سبحانه وتعالى - وفي هذا يقول مولانا محمد أحمد المصباحي : «إن الشيخ أحمد رضا خان تمسك بالشريعة الإسلامية طوال حياته ، ولم يغفل في أى فترة من حياته عن القيام بالفرائض والتواجبات وعن اتباع السنة المطهرة ، فأصبح قلبه مركزى ومطهرأ حيث ظهرت عليه ملامح نور المعرفة الإلهية وهو في ريعان شبابه ، وهذه الحقيقة المدهشة تتجلى لكل من يطالع حياة الشيخ أحمد رضا خان ولو بالنظرة السريعة» .

لقد عكف الإمام أحمد رضا خان على دراسة علوم الشريعة منذ

صباه حتى أنه أكمل دراسة العلوم الإسلامية والعربية السائدة في شبه القارة آنذاك ثم أقبل على دراسة علوم الطريقة وتركيبه الباطن ، وعين هذا يحدتنا الأستاذ إعجاز الحق القدوسى قائلًا: أقدم الشيخ أحمد رضا خان على تركيبه الباطن بعدما أكمل دراسة العلوم الظاهرية (الإسلامية والعربية) فأخذ عن الشيخ آل رسول المارهروى الطريقة القادرية في عام ١٢٩٤هـ الموافق للعام ١٨٧٧م وفي نفس الوقت تشرف بالإجازة في الحديث والطريقة القادرية بجانب الطرق الصوفية الأخرى ، الأمر الذى جعله يجمع البحرين (الشريعة والطريقة) .

ويزيد مولانا محمد صابر نسيم البستوى السطار عن سبب الشرف الذى حظى به الإمام أحمد رضا خان القادرى حيث إن شيخه أكرمته بالإجازة في الطرق الصوفية بعد أخذ الطريقة بقليل وذلك على غير عادته إنه القائل : «(كان الشيخ آل رسول المارهروى) يذرب مرديده على المجاهدة والتربية الروحية وذلك من أجل تركيب النفس ، ثم يمنح الإجازة والخلافة لمن يراه مناسباً ، ولكنه منح الشيخ أحمد رضا خان القادرى ووالده مولانا محمد نقى علي خان القادرى الإجازة والخلافة دون تكليفهما بالمجاهدات ، وكان هذا الأمر مثيراً للاستغراب عند بعض المريدين له ، فقدم الشيخ أحمد أبو الحسن النورى بالسؤال عن سر هذا الأمر إلى الشيخ آل رسول المارهروى والذى رد على السؤال قائلًا : يأتيى الناس بقلوب محتاج إلى المجاهدة لتزكيتها ولكن جاءني أحمد رضا خان بقلب زكى طاهر ، فلم يكن قلبه بحاجة إلى التزكية بالمجاهدة بل كان يحتاج إلى

الانصاف للطريقة وهذا الذى حصل له بأخذ الطريقة .

لقد قام العلامة المصنف الإمام أحمد رضا خان القادري بمهمة الإرشاد خير قيام ، وخاصة بعدما نال الإجازة فى الحديث والطريقة . فانكب على الدعوة والإرشاد والرد على البدع والفتورات ، وقام بهذه المسئولية من خلال مواعظه ، وحواراته فى المجالس ، والمؤلفات القيمة .

يقول الداعية الإسلامى الكبير فضيلة الشيخ السيد يوسف السيد هاشم الرفاعى متحدثاً عن قيام الإمام أحمد رضا خان القادري بالمهمة الإصلاحية : «وقد قام بالمهمة خير قيام ، وكان يغار على الشريعة والطريقة معا ، ويرفض التفريق بينهما ، وكان يقول : إن الشريعة منبع والطريقة بحر تنبع من هذا ينبوع ، ولا يمكن الوصول إلى الله - سبحانه وتعالى - إلا بالسلوك على الشريعة ، ومن سلك طريقاً غير طريق الشريعة هلك وضل عن طريق الحق» .

وهكذا عاش العلامة المصنف فقيهاً حقيقياً ، ومرشداً قادرياً ، ومقاوماً للبدع فى عصر الانهيار السياسى والثقافى والاجتماعى الذى شهدته الهند ، وفى هذا العصر المصحوب بالفتن والحوادث تصدى للرد على خطط الإنجليز ومحاولات الهناكة لإذلال المسلمين ، كما قام بالرد على الفتن التى نشأت باسم الإسلام ، وأقدم كذلك على مقاومة الأفكار الزائفة التى انتشرت باسم التصوف ، جزاه الله خيراً عن الإسلام والمسلمين وجعله الله ممن رضى عنهم ورضوا عنه ، وما ذلك على الله بعزيز .

هذه الرسالة :

تعد هذه الرسالة «الزمزمة القمرية فى الذب عن الحمرة» من مآثر العلامة المصنف فى التصوف ، وله مؤلفات قيمة أخرى فى هذا المجال نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر «الزبدة الزكية فى تحريم سجود التحية» ألفها فى الرد على من يرى صحة سجود التحية للصالحين ، فأنبت الإمام أحمد رضا خان القادري حرمة سجود التحية لله رب العالمين - سبحانه وتعالى - وألف كذلك «مقال العرفاء بأعزاز شرع وعلماء» قاصداً بها الرد على بعض المنتسبين إلى التصوف والذين لا يرون الشريعة والعلماء موضع الكثير من الاهتمام ، ويقفون بين الشريعة والطريقة ، وهكذا قام العلامة المصنف بمقاومة كل فكرة رافها زائفة .

لقد اندفع المصنف الفاضل إلى تأليف رسالته هذه فى الدفاع عن القصيدة الحمرة للشيخ عبد القادر الجيلانى والذى أحبه العلامة المصنف حباً جماً ونظم فى مدحه قصائد ورباعيات وأبيات رائعة بالعربية والفارسية والأردية ، ولقد أقر نسبة الحمرة هذه إلى مولانا الشيخ عبد القادر ثم انتقل إلى الرد على من توجده بالظن فى عربة القصيدة فكتب فى ذلك عشر نكات (١) هى :

(١) استخدم المصنف فى الأصل كلمة «نكتة» ، وهى مسألة لطيفة أخرجت بدقة نظير وإمعان فكر من نكت رجمة بالأرض اثر فيها رصميت المسألة الدقيقة نكتة لتأثر الخواطر فى استنباطها . =

النكتة الأولى : في الإحفاء بقواعد اللغة العربية وإهمالها .

النكتة الثانية : في بيان عدم الاهتمام بقواعد الإعراب من طرف بعض الأئمة والعلماء الكبار .

النكتة الثالثة : في حال اللغة غير لغة الأم .

النكتة الرابعة : في أقسام الفن وأحكامه التي يجعلها المتكلم فيها نصب عينها .

النكتة الخامسة : الضرورات الشعرية وآفاقها الواسعة وذم الانغماس فيها .

النكتة السادسة : السبب النفيس لصدور كلمات رفيعة من أولياء الله الصالحين .

النكتة السابعة : في أن أولياء الله تعالى يلحظون عن عمد في بعض الأحيان وهم فيه أسرار .

النكتة الثامنة : إهمال الأولياء الأجلاء والأئمة والعلماء الكبار في أمر العربية .

= (انظر : التوقيف على مهمات التعاريف للمناوي ص ٧١٠) .

النكتة التاسعة : أن الكمال في اللغة لا يعد من كمال أهل الكمال بل يعد من الزوائد .

النكتة العاشرة : لحن المحبوبين أحب من ضوَاب الآخرين .

ومن مطالعة هذه النقاط العشرة تتجلى لنا ثقافة المصنف متعددة المناحي ، ورسومه في العلم ، فإنه أفاد من نبع الحديث النبوي الشريف ، وكلام الفقهاء ، والأدباء ، والصوفية فقام بمهمته العلمية خير قيام .
أجزل الله له المثوبة .

لقد طلب الشريف وجاهت رسول القادري ترجمة هذه الرسالة من ابننا العزيز ممتاز أحمد السديدي إلى اللغة العربية أيام كنا في مصر ، حيث سعدنا بزيارة مراقد أهل البيت وأولياء الله الصالحين كما تشرفنا بالحضور في رحاب الأزهر المعمور خلال هذه الرحلة ، حيث كان لنا شرف اللقاء مع فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوي حفظه الله تعالى .

لقد كانت رغبة الشريف وجاهت رسول القادري في ترجمة هذه الرسالة نظراً لما تحتوي عليه من البحوث الأدبية فلبى ابننا البار ممتاز أحمد السديدي الباحث بالأزهر الشريف مطلبه وبدأ الترجمة غير أنه لم يستطع أن يكملها إلا عند عودته إلى باكستان لجمع المادة العلمية

لرسالة العالمية ((الدكتوراه)) وقد عرّضنا أمر التخريج على مولانا عبد
الذير السعيدى فقام بالتخريج .

وهكذا تمت الترجمة والتخريج ، ويقوم مركز بحوث الإمام أحمد رضا
بكرانشى مشكوراً بطبع هذه الرسالة ، أسأل الله أن يجزى خيراً كل من
أسهم فى إخراج هذه الرسالة إلى النور ، وصلى الله تعالى على خير خلقه
سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه وعلماء ملته وأولياء أمره والمسلمين أجمعين .

تحريراً فى غرة جمادى الأول

١٤٢١هـ

كتبه

محمد عبد الحكيم شرف القادرى

أستاذ الحديث النبوى الشريف

بالجامعة النظامية الرضوية بلاهور

بسم الله الرحمن الرحيم

تقريب

لفضيلة الشيخ محمد القادرى الشامى

الحمد لله الرحيم الكريم الغفار ، القادر العلى القهار ، بارئ الليل
والنهار ، مجلى الأسرار لعباده الأبرار ، والصلاة والسلام على سيد
الأخيار ، وإمام الأنبياء والرسول الأقطار ، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه
وكل من فى فلحهم دار ، بعدد ورق الشجر وقطر الأمطار ، صلاة بنحو
قائلها من عذاب القبر والنار . ورضى الله عن الغوث الصمدانى
والكوكب النورانى سيدنا ومولانا الإمام عبد القادر الجيلانى وعن مصنف
هذه الرسالة ، وعن كل المحدثين العلماء العاملين بهدى سيد المرسلين -
صلى الله عليه وسلم- وبعد :

فإنه من فضل الله - سبحانه وتعالى - ومنه وكرمه على أن جعلنى من
أتباع وذرية سيدنا ومولانا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وأكرم منى
كذلك أن جعلنى من الخيين لقطب رضى العارفين سيدنا عبد القادر الجيلانى
- قدس سره الأنور - وإنى قد كلفت بكتابة تقريب لرجة أخى الفاضل
الشيخ ممتاز أحمد السعيدى لرسالة العلامة الفقيه الحنفى الحقيقى ،
المحدث ، الأديب ، سيدى الشيخ أحمد رضا خان - رحمه الله تعالى -
فاقدت على كتابة هذه الكلمات رجاء البركة باثر من آثار هذا السولى
الصالح الخب الصادق لصاحب العلم الوافر والخال الظاهر سيدى
ومولانى الشيخ عبد القادر الجيلانى ، فنعنى الله وجميع الخيين لشيخنا

الجليل بعلومه وأحواله وأفاض علينا من بركاته وبركات كل الصالحين ،
آمين .

لقد اطلعت على هذه الرسالة النفيسة «الزمزمة القمرية في الذب
عن الحميرية» والتي دافع فيها العلامة المصنف بشدة عن الحميرية إذ أن
بعض المعاصرين له أنكروا نسبة هذه القصيدة إلى سيدي الشيخ عبد القادر
الجيلاني ، تلك القصيدة العصماء التي أتى بها ناظمها هاتماً في الحب
الإلهي ، والتي نسمع دويها في العالم الإسلامي أجمع ، تلقاها المسلمون
كأبراً عن كابر بوصفها قصيدة لسيدنا ومولانا الجيلاني فكالموا وما زالوا
ينالون من بركاتها حتى عصرنا الراهن ، إذ روى أن من بركاتها على من
يقرأها أنه يزيد فهمه بالعربية وإن لم يكن من أهلها وغير ذلك الكثير
والكثير .

وإن نسبة هذه القصيدة إلى سيدنا الشيخ عبد القادر الجيلاني لمن
التوايت التي لا ينكرها إلا من لم يتذوق حلاوة معانيها والروحانية السارية
في كيانها ، وإن من يظن في لغة هذه القصيدة بقصد نفيها عن ناظمها
فلا تملك إلا أن تذكره الحديث القدسي «من عادى لي ولياً فقد آذنته
بالحرب» وتوصيه بتقوى الله عز وجل .

إن مولانا الشيخ عبد القادر الجيلاني لم يفرغ لنظم الشعر إنما أقدم
على النظم من وقت لآخر لكي يعبر عن أحواله في الحب الإلهي حتى تكون
له ديوان شعر والذي يعد جزءاً هاماً من وجدانيات الأدب الصوفي .
والحميرية التي نحن بصدد الحديث عنها إحدى قصائده التي اشتهرت في

الآفاق ، فقد لاحظت في بلاد الشام أن الحميرية هذه تقراً بنية
الفيض والفتح في العلم خاصة في اللغة العربية ، وإن المجالس لعطر
بقراءتها .

لم ينظم شيخنا الجليل بالعربية دونما تمكن منها بل قرض بها عن إمام
بها وتعمق فيها ، حيث إنها لغة أجداده المسلمين ودينه الخفيف ، فإن
نسبه الشريف يمتد إلى سيدنا حسين من طريق أمه ، وإلى سيدنا الحسن
من طريق أبيه ، وهذا ما ثبت عند المحققين من أهل التاريخ والنسب ، ومن
هنا تتجلى غرويته .

هذا وإنه تطلع من العربية وآدابها بالدراسة ثم بالتدريس فالعطاء
الإلهي ، لقد درس العلوم الإسلامية والعربية منذ صباه بهالغ الشغف ، إذ
أنه بدأ الدراسة بحفظ القرآن ، ثم توجه إلى كبار علماء بغداد لتلقي العلوم
الإسلامية والعربية ، تعلم الأدب واللغة العربية على يد أبي زكريا
يحيى بن علي التبريزي ، لقد تصدر شيخنا للتدريس حيث كان يقرأ عليه
في اليوم أكثر من ثلاثة عشر درساً في مختلف العلوم فانفتح به وأخذ عنه
كبار العلماء كالمقادة ومنهم قدامة بن جعفر ، وتربع على كرسى الوعظ
كذلك فالتقى بالخطب العربية الرائعة ذات إيقاع في نفوس المستمعين والتي
تتمتع بمطالعتها ضمن كتابه «الفيوض الربانية» والتي ندل على تمكنه من
ناصية اللغة العربية ، وقد أورد الإمام الشافعي أن شيخنا الجليل رأى
جدة - صلى الله عليه وسلم - وإليك غام القصيدة على لسان مرشدنا
الكبير الشيخ عبد القادر الجيلاني حيث يقول : رأيت رسول الله

- صلى الله عليه وسلم يقول : يا بني لم لا تتكلم (أى تخطب) ؟ فقلت : يا أبتاه أنا رجل أعجمي فكيف أتكلم على فصحاء العرب ببغداد ، قال لى : افتح فاك ففتحته فنقل فيه سبعا ، وقال لى : تكلم وادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة ، فصليت الظهر وجلست وحضرتى خلق كثير فارتح على فرايت سيدى على بن أبى طالب - كرم الله وجهه - قائماً يازانى فى المجلس فقال لى : يا بني لم لا تتكلم ؟ فقلت يا أبتاه قد ارتج على فقال : الفج فاك ، ففتحته فنقل فيه ستا ، فقلت له لم لا تكملها سبعا ؟ قال : نادبا مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وهكذا أكرم شيوخنا بالعلم اللدنى فبلغ من الفصاحة والتأثير مبلغاً ياهراً ، لقد حباه الله بهذه المزية بعدما تلقى العلوم الإسلامية والعربية بنهم ، وقام بتدريسها باهتمام كبير ، الأمر الذى لا يترك مجالاً للظن فى عريته ، إلا أن بعض المعاصرين لسيدى الشيخ أحمد رضا خان حاولوا أن يبحثوا عن مواطن الضعف فى الحمزية حتى يتسنى لهم نفي نسبتها إلى سيدنا الشيخ عبد القادر الجيلانى ، ومن هنا انبرى الشيخ أحمد رضا خان للدفاع عن الحمزية فدافع عنها دفاعاً مجيداً ومصحوباً بالأدلة العقلية والنقلية فى عشر نكات حيث إنه بين أن كثيراً من فطاحل الشعراء ، والأئمة ، والعلماء انحوا لى بعض الأحيان ، وهذا منهم لا يقلل من قيمتهم الأدبية والعلمية شيئاً ، فقد تركت همم الكثير منهم على المعانى دون الألفاظ إذ أن المعانى فى رأيهم كالثروح والألفاظ بمثابة الجسد ، فلاهتمام بالروح أولى

من التركيز على الجسد .

إن هذه الرسالة إن دلت على شيء فإنما تدل على غيرة المصنف رحمه الله على الحق ، كما تدل على عمق الصلة وشدة المحبة بينه وبين سيدى الشيخ عبد القادر الجيلانى ، ويتبين كذلك من عرض المصنف للنكات العشر رجاحة عقله وحداقة رأيه ، جزاه الله عن الخبير للشيخ عبد القادر الجيلانى خير الجزاء على ما قدم للعلم ، فإن التزممة القمرية شفاء للعليل وإرواء للخليل ، ونور يجلى لنا الحق ويصرف عنا كل دخيل .

وفى نهاية المطاف أسأل الله - سبحانه وتعالى - أن يجعل هذا العمل الطيب المبارك من أعمى فى الله الشيخ ممتاز أحمد السديدى فى ميزان حسناته خالصاً لوجهه الكريم ، وأن يجعله الله تعالى من مفاتيح الخير ، والنور ، والهداية ، ويجعله قرّة عين لسيدنا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ولولا الله الشيخ عبد القادر الجيلانى ، فهو بالإحابة جدير وعلى كل شيء قدير .

كتبه

خويدم الطريقة القادرية العليا فى بلاد الشام سوريا دمشق

محمد مطرّة جنى القادرى الحسينى

مخرج كلية أصول الدين (قسم الحديث)

من جامعة الأزهر الشريف

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة المصنف

الحمد لله الخبي القادر المتعال ، الذي سقى سيدنا كائنات الوصال^(١) ، وتوج ملكنا بتهجان الكمال ، والصلاة والسلام على نبينا المصطفى عبد القادر^(٢) العظيم المتوال ، الغوث الغيث الوهاب الآمال ، وآله وصحبه خير أصحاب وآل ، وابنه الجليل الجمال الجميل الجلال^(٣) الذي جعل قدمه بأمر القديم على أعناق الرجال^(٤) ، وأشهد أن لا إله إلا الله شهادة تحصل الآمال وتصلح المال ، وأن محمدا عبده ورسوله سيد

(١) إشارة إلى لامية الشيخ عبد القادر الجيلاني والتي مطلعها :

سقاني الحب كائنات الوصال فقلت لعمري نوى تعالى

ومن الجدير بالذكر أن هذه القصيدة هي موضوع حديث العلامة المصنف - رحمه الله تعالى - ، وقصد رحمه الله تعالى بكلمة «سيدنا» الشيخ عبد القادر الجيلاني قدس سره .

(٢) أنى المصنف الفاضل بهذا المركب الإضافي وصفا لسيدنا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من باب براعة الاستهلال لأنه يتحدث في مصنفه عن مولانا الشيخ عبد القادر وهذا الأمر إن دل على شيء فإنه يدل على ثبوته من ناحية اللغة العربية وبراعته في الشعر العربي .

(٣) هنا يشير المصنف - رحمه الله تعالى - إلى الشيخ عبد القادر الجيلاني إذ أنه من عزة سيدنا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم .

(٤) إشارة إلى مقولة أدلى بها الشيخ عبد القادر الجيلاني حين أكرمه الله بالنسب والعلو فأجرى الله على لسانه : «قدمي هذه على رقية كل رلى لله» .

السادات ومولى الموال ، صلى الله تعالى وسلم عليه وعليهم بتواتر وتوال ، إلى أبد الآباد من أزل الأزال ، وعلينا معهم يا حبيب السؤال ، آمين^(٥) .

أما بعد فقد وصّلت على منتصف شهر ذي الحجة سنة ١٣٠٦ هجرية على صاحبها الصلاة والتحية - إلى هذا العيد الفقير عبد المصطفى^(٦) أحمد رضا الحمدي السني الحنفي القادري البركاني البريلوي - أغفره الله وكل من يليه في بخار ولاء وليه وذوآله - والرسالة التي بعثها مولانا محمد إبراهيم القادري البركاني المدراسي الحيدر آبادي - سلمه القادر بتوالي الآبادي - والتي جاء فيها بما يلي :

بسم الله خير الأسماء

فضيلة الشيخ مد ظله . تسليماً بكل احترام .

إن مولانا محمد وكيل أحمد الإسكندر بوري يتقدم إليكم بالتسليمات ، والذي في هذه الأيام منكب على شرح لامية الشيخ عبد القادر الجيلاني ، وكلفتني بأن أقيدكم بهذا الأمر طمعا في رأيكم في هذا

(١) هذه الخطبة الوجيزة بما فيها من الحمد والصلاة والسلام على خير الأنام ثم شهادة التوحيد والرسالة مما كتبه المؤلف - رحمه الله تعالى - باللغة العربية التي تعلمها وتعمق فيها لأنها لغة الدين الخفيف .

(٢) هذا لقب اختاره المصنف - رحمه الله تعالى - لنفسه نظراً لجه الشديدي بالحب المصطفى صلى الله تعالى عليه وسلم مع الأخذ في الاعتبار أن العبودية ليست إلا لله الواحد القهار ، والمراد من كلمة العبد هنا الخادم والمملوك ، وكان المصنف مقتدياً بسيدنا زيد بن حارثة الذي فضل أن يكون خادماً ومملوكاً لسيدنا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بدلاً من أن يعيش حراً مع أهله وعشيرته .

الصدد : إنه يرى أنكم مكرمون بعلو القدر وهو المكانة وأنا لا نستغني عنكم لي شرح هذه القضية حتى نستمد من نفعاتها وبركاتها ، وهو يقول : (إن عائلته ملتزمة بقراءة هذه القضية ، ولما اشبه أمرها على بعض الناس أصبح من الواجب علينا أن نبذل شكهم . اهـ

القول : إن مولانا محمد إبراهيم القادري استشارني مصداقا لقول الله عز وجل «وشاورهم في الأمر»^(١) وإلا فابن أمر التصلاح من فاقده والظر في التفاوت بين الاثنين : وكان هذا العبد الفقير مشغولا في ترتيب مجموعة الفتاوى التي أصدرتها : كما كنت ساعيا في تيسير وترتيب رسائل والدي ، بالإضافة إلى تأليف رسائل جديدة منها : «مناجيات المؤمنين في كون الناصح بكفي اليدين» وفي مثل هذه الظروف أردت أن أعرب عن رأيي بإيجاز وذلك في ٢٥ من شهر ذي الحجة عام ١٣٠٦ هـ يوم الجمعة : ولكنني لما إن جلست لهذا العمل إلا فاضت فريقي ووجدت المادة العلمية للرسالة جاهزة فأسميت هذه الرسالة المخزومة «بالتزممة القمرية في الذنب عن الخيرية» .

ورجائي أن تحظى هذه المحاولة بالقبول من الخيرة القادرية ، فإن

(١) سورة آل عمران ١٥٩/٣ .

الأمر غير عسير على الكرام^(١) فإذا استحسن مولانا محمد وكيل أحمد كتابتي فلجعلها ملحقا لشرح الخيرية الذي يقوم به وإلا فانا أعترف نفسي وبضاغتي ، وإنني أقول بكل صراحة وسعيد بكل ما أقول : إنني متبع العشق ومرتاح في الدارين^(٢) .

هذا والحمد لله المولى المقدر والصلاة والسلام على عبد القادر [ويعني به سيدنا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم] وآله وصحبه الكرام الأطهار ، آمين ، وبها أنا أقول عجبا للفاضل المولوي وكيل أحمد السكندر فوزي - نورنا الله تعالى وإياه بالنور المعنوي والصورى ، وجعلنا وإخواننا جميعا من الذين لهم من الشرب الرحيم حسن وعد مضي . ومن النبي الكريم ذي الفضل العظيم أحمد رضا ، فكان كليلهم الأحمد والوكيل أحمد ، عليه وعلى آله الصلاة والسلام إلى منتهى العدد ونهاية الأبد .

(١) هذه ترجمة لشطرة فارسية ذكرها المصنف وهي كالآتي :

بركر يمان كارها دشوار نیست .

(٢) هذه ترجمة حرة لبيت فارسي نصه كالآتي :

فاش ميگویم واز گفته خود دل شادم بنده عشقم واز هر دو جهان آرامم

سند القصيدة الحميرية

إن نسبة القصيدة اللامية الحميرية القولية المباركة إلى مؤسس الطريقة القادرية - أعظم الله تعالى شأنها وأعلى مكانتها - بلغت من الشهرة مبلغاً لا بأس به ، والمشايخ اتخذوها ورداً ، وأجازوا بقراءتها ، والألوف من الطوائف والعامّة يرون صحة نسبة الحميرية إلى الشيخ عبد القادر الجيلاني .
لقد أقدم مولانا محمد فاضل الكلاتوري - رحمه الله تعالى المعاصر للعلامة سيدي أحمد الحموي صاحب غمز العمون والبصار شرح الأشياء والنظائر - على شرح هذه الحميرية باسم الرموز الحميرية ، وأقر بنسبة هذه القصيدة إلى شيخنا الجيلاني .

ولنستمع إلى سيدنا أبي المعالي محمد المسمى الذي بعده مولانا عبد الحق احدث الدهلوي من أبناء وعلماء الطريقة القادرية فإنه في تأليفه «التحفة القادرية» يقول تحت عنوان : الباب الحادي عشر : فيما أخبر به الشيخ عبد القادر الجيلاني عن نفسه ، يقول الشيخ شهاب الدين السهروردي رضي الله تعالى عنه أن الشيخ عبد القادر الجيلاني قال في مدرسته مراراً وتكراراً : كل ولي على قدم نبي ، وأنا على قدم جدي صلي الله تعالى عليه وسلم ما رفع صلي الله تعالى عليه وسلم قدماً إلا وضعت قدمي في الموضع الذي رفع قدمه منه ، إلا أن يكون قدماً من أقدام النبوة ، فإنه لا سبيل أن يناله غير نبي ، وقد تناول الشيخ عبد القادر هذا المعنى فيما نظمه أيضاً ، إنه القائل :

وكل ولي له قدم وإنسى على قدم النبي بدر الكمال^(١)

وإننا نلاحظ هذا في كتب المشايخ ، وفي مثل هذا الأمر بل في الأهم والأجل منه يكفي أهل العلم بهذا القدر من الدليل ولا يرون حاجة إلى اتصال السيد فقد ذهب إلى هذا أبو إسحاق الاسفرائيني ، ثم الإمام الأجل جلال الدين السيوطي ، ثم سيدي العلامة أحمد الحموي الذي ينقل في كتابه «غمز العمون» في شأن كتب الفقه أنه : لا يشترط اتصال السند إلى مصنفها^(٢) .

وقد صرح الإمام الخلق على الإطلاق كمال الدين محمد بن الفهماني في فتح القدير ثم العلامة زين بن نجيم المصري في الأشياء والنظائر : «أنه لا حاجة للسند في عصرنا هذا للنقل عن مجتهد ما إذ يكفي الأخذ من أي كتاب معروف» .

ومن كلامه نستشف أن تداول الأيدي شرط ليكون الكتاب معروفاً^(٣) ، ولكتنا نرى خاتم المحققين سيدنا محمد بن عابدين الشامي أنه يتفق هذا الشرط ويكتفي بتعدد نسخ الكتاب قالاً : «وهو حسن وجيه

(١) تحفة قادرية (التحفة القادرية) للشيخ أبو المعالي محمد المسمى ص ٧٩ (النسخة الحظية) .

(٢) الأشياء والنظائر (الفن الثالث : أحكام الكتابة) للعلامة زين بن نجيم المصري (ط :

إدارة القرآن : كراتشي) ج ٢ ص ١٩٨ .

(٣) المرجع السابق ، ج ٢ ص ١٩٨ .

يتعين المراجعة إليه^(١) وعندما تنظر في أمر القصيدة الحميرية تجد لها شهرة ، وتداول الأيدي ، أما تعدد النسخ فمخرج عن العدد^(٢)

وقد حدث سيدنا ومولانا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ببعض الأمور إلى أمير المؤمنين سيدنا عمر -رضي الله تعالى عنه- قيل لحوقه بالرفيق الأعلى ، ورد هذا الحديث في إحياء علوم الدين لحجة الإسلام الإمام محمد الغزالي ، والمدخل للإمام ابن الحاج المكي ، كما ورد جزء منه في الشفا بتعريف حقوق المصطفى للإمام العلامة أبي الفضل عياض ، وقال الإمام جلال الدين السيوطي معلقاً على هذا الحديث : (لم أجده في شيء من كتب الآثار لكن صاحب اقتباس الأنوار وابن الحاج في مدخله ذكرا في ضمن حديث طويل وكفى بذلك سنداً مثله ، فإنه ليس مما يتعلق بالأحكام)^(٣)

وموجز القول : إن في مثل هذا الأمر الذي لا يتعلق بالأحكام يكفي هذا التقدير من الحجة ، ولا حاجة إلى الأسانيد الصحيحة المتصلة أو التواتر ، إلا إذا كان هناك كلام يخالف الشريعة بصراحة -والعياذ بالله- فلا يجوز نسبته إلى أي مسلم دون دليل ينص على صحتها ، فضلاً عن

(أثبت نسبته إلى الرفيع المنيع (الشيخ عبد القادر الجيلاني) عليه رضوان الملك السميع .

فائدة جلية^(١) :

إنني أرى كفاية في هذه النكتة لما يدور بين الفرقتين الضاليتين المعاصرتين تندفع طائفة إلى تجويز وتأييد أقوال نسبت إلى المشايخ شفوياً أو في كتب غير ثقافت مع أن هذه الأقوال تخالف الشرع الخفيف بصراحة ، كما تجعل طائفة أخرى هذه الأقوال المنسوبة إلى المشايخ شفهياً أو في كتب غير موثقة وسيلة للظعن في المشايخ ، كل منهما واقعة في الإفراط والتفريط وبعيدة عن الصراط المستقيم ، انفصلت الأولى من اتباع الشريعة بزعم حب الأولياء ، بينما وقعت الثانية بخدعة اتباع الشريعة لسي هاوية (من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب) مع أن رفض هذه النسبة كان واجباً واجب حين العدم دليل قطعي ومتواتر . يقول الإمام مرشد الأتام حجة الإسلام محمد الغزالي -قدس سره- والعلامة علي القاري -عليه راحة الباري-^(٢) «لا يجوز نسبة مسلم إلى كبيرة من غير تحقيق ، نعم يجوز^(٣)

(١) إن نسبة كلمات تخالف الشرع الخفيف إلى رلى من أولياء الله بدون دليل قطعي لا تقبل ، وهذه النسبة ترفض وإن كان سنده من الأحاد (تعليق العلامة المصنف) .

(٢) إحياء علوم الدين (كتاب آفات اللسان ، الآفة السادسة الذعن) للإمام محمد الغزالي (ط : القاهرة) ج ٣ ص ١٢٥ ، منح الروض الأزهري شرح الفقه الأكبر ، للعلامة علي القاري (ط : مصطفى البابي الحلبي ، القاهرة) ص ٧٢ .

(٣) وقع هنا في نسخة شرح الفقه الأكبر الشائعة في بلادنا تحريف شديد فنقل فيها لفظ الإحياء هكذا ، بل لا يجوز أن يقال : إن ابن ملجم قتل -

(١) حاشية لابن عابدين (ط : دار إحياء التراث العربي بيروت) ج ٤ ص ٣٠٦ .

(٢) إن التزام أسرة الشيخ بإجازة الحميرية مثل سائر الأوراد والأدعية بخاتمة السلسلة والسند كسلسلة الطرق التي تتضمن الدعوات وأسماء المشايخ (تعليق العلامة المصنف) .

(٣) مناهل الصفا في تخريج أحاديث الشفاء ، للإمام جلال الدين السيوطي .

التكنة الأولى

فى الاحتفاء بقواعد اللغة العربية وإهمالها

إن الحق - عز وجل - أعطى الإنسان لساناً ، وهب للسان قدرة لبيان حتى يعبر الإنسان عن مكونات عاطفه ، وهذا هو المقصود الأصلي والبالى كله من الزوائد «خلق الإنسان علمه البيان»^(١) وإنما البيان هو الإظهار ، إذ به يتبين المرام ويبين أى : ممتاز عن غيره ، أو يبين أى : يفرد عن ضمير المتكلم إلى سماع السامع ، بأن ظهر وامتاز وانفرد ، وأبان : أظهر وميز وأفرد .

وإن العربية كسائر الفنون شعبتان : العلم والعمل ، أما العلم فمن الواجبات الكفائية ، إذ به القدرة على فهم الكتاب والسنة ، ولابد للأمة المستنطين والهداة والدعاة إلى طريق الدين من البراعة الفامة فى العربية ، فإن أمر المتكلم فى النصوص لا يتم إلا بهذا الخصوص ، وأما العمل فيعنى إصدار الكلام حسب القواعد العربية ، وإن ترك العمل بالعربية ينطوى على قسمين :

أولهما إخلال بواجب البيان أى الإتيان بما يفسد الكلام ويبعده عن المرام ، كجعل الفاعل منصوباً والمفعول مرفوعاً فى محل الالتباس كما يقول القتلى : ضرب زيداً عمرو بدلاً من قوله : ضرب زيد عمرو ، وإنما قيدنا بمحل الالتباس إذ حيث لا يس لم يكن إخلالاً بواجب البيان ، وإنما يكون من القسم الثانى كقولك شرب الماء زيدا حيث أحاط السامع

(١) سورة الرحمن ٥٥ / ٤٣ .

أن يقال : قتل ابن ملجم علياً - رضى الله تعالى عنه - وقتل أبو لؤلؤة عمر - رضى الله تعالى عنه - فإن ذلك ثبت متواتراً ، فلا يجوز أن يرمى مسلم بفسق وكفر من غير تحقيق .

هذه التكنة جديرة بالحفظ فإنها تنقذ من المهلكات الكثيرة إن شاء الله الحفيظ تعالى .

أحكام مراعاة للعربية وتركها وتعلمها :

لنتفل الآن إلى ما كان من القطع فى عربية الخمرية ، نقول ونسأل الله التوفيق وبه الاعتصام ، نعد بعض النكات بالاهتمام ، بعضها أملح من بعض فى المقام .

- علياً ، ولا أبو لؤلؤة قتل عمر ، فإن ذلك لم يثبت متواتراً قط . وهو باطل صريح كما لا يخفى ، والصواب ما نقلت فليتنبه (تعليل المصنف)

بسياق الكلام^(١) ، بل قد لا يكون من الآتي أيضاً حيث بنى على نكتة بدعية كما هو المذهب الراجح لئلا يعين في القلب ومنه قولنا : « كما طينت بالفدن السباع » .

ومن هنا فالقسم الأول بلا أدنى شك مذموم وغير محبب ، ومن يعود به يلام لا يأنه بالغيب ، أما القسم الثاني حيث لا يتغير المراد ولا يفسد الكلام فلا يعتبر (خلالاً بمقاييس البيان وإن كان إخلالاً بواجب العربية ، فإن مقصود البيان أو بيان المقصود حاصل بالرغم من فقد الاتباع لقواعد اللغة العربية ، مثال ذلك أن يأتي أحد بالضاد مكسوراً ، أو بائرء مضموماً ، أو بالباء ساكناً حين تطفه بكلمة (ضرب) هذا وقد ذهب علمائنا إلى أن إتيان الفتحة على الباء بدلاً من الضمة في كلمة (تعبد) لا يبطل الصلاة ، إلا أن من قرأ الفتحة على كلمة «الضائين» فإن صلاته تبطل وذلك لتغير المعنى على ما ذكر العلامة الشرنبلالي في «تيسير المقاصد شرح نظم الفرائد» حيث قال : المصلي إذا لم يقرأ في قراءته لحناً بغير المعنى كفتح لام الضائين لا تجوز صلاته ، ثم قال : إذا لم يقرأ بغير المعنى كفتح باء (تعبد) أو كسرها لا تفسد الخ .

قلت : إن في الأولى نظر لمن تأمل ونظر ، والاعتداد بهذا النوع من اللحن بالرغم من علم الناطق ومقدرته لا ينافي الفضل والكمال ، وتسرك

(١) قيد به لأنه لو لاه لا يحمل الحمل على (قيل شرب الماء زبدًا) ، فيكون ممن يصاب المشاككة أي كل يوم كان زيد يشرب الماء واليوم شرب الماء زبدًا ، حفظه ربّه (تعليل المصنف) .

العمل لا يدل على عدم العلم ، وعلى سبيل المثال نقول : إن إماماً في فن السباحة إذا لم يسمح طوال حياته عند الضرورة بل استخدم القوارب فإن صنيعة هذا لا تنافي علمه وقدرته .

ثم إن عذب الحرمين الطيبين - زادهما الله زينا بعد زين - والبلاغة العربية الأخرى منذ أزمان متطاولة يأتون في حواراتهم اليومية ببعض عبارات لا توافق قواعد اللغة العربية وهذه الظاهرة تشمل العامة والخواص حتى العلماء الكبار والفصحاء الأجلاء ، ومع ذلك لا يعابون بالجهل أو العجز ، ولا يظعن في علمهم ولا في فصاحتهم .

لقد سئل أعلم علماء مكة مفتي الحنفية الجليل سيدي عبد الله سراج المكي : إن بعض العرب يغرون صوت القاف [بما هو معروف في اليمن والسعودية والسودان وصعيد مصر] فهل تجوز الصلاة بهذه اللهجة ؟ فرد عليه قائلاً : إن بقدر لا يجوز وإن لم يقدر يجوز . ومن الخبير بالذكر أنه نطق القاف بنفس اللهجة المسؤول عنها . ومن هنا فلا مجال للظعن في علم سراج الحرم (الشيخ عبد الله سراج المكي) .

ونقدم إليكم تصانيفها لقله سيدنا محمد بن عابدين الشامي - قدس سره - عن العلامة المحقق عمر بن نجيم المصري - رحمه الله تعالى - وهو كالآتي : لا اعتبار للإعراب عند عامة المشايخ وهو الأصح ، لأن العوام لا يميزون بين وجوه والخواص لا يلتزمونه في مخاطبتهم ، بل تلك صناعتهم والعرف لغتهم ، ولذا ترى أهل العلم في محاربي كلامهم لا يلتزمونه^(١) .

(١) رد المحتار شرح در المختار (كتاب الطلاق ، باب الكتابات) للعلامة محمد بن عابدين الشامي ، ج ٢ ص ٤٦٥ .

لقد توفي هذا العلامة الخلق إلى رحمة ربه في العام الخامس بعد الألف للهجرة الشريفة ، إنه لم يكن وحيداً في رأيه هذا بل سبقه الإمام الخلق على الإطلاق كمال الدين محمد بن الهمام -قدس سره- برأيه التالي : (وهذا الوجه يعم العوام والخواص ، لأن الخاصة لا تلتزم التكلم العرفي على صحة الإعراب ، بل تلك صناعتهم ، والعرف لغتهم ، ولذا ترى أهل العلم في مجازي كلامهم لا يقيمون) (١)

إله توفي إلى رحمة ربه في الثامن من شهر رمضان عام واحد وستين بعد الثمانمائة للهجرة النبوية ، ومن هنا عرفنا أن كبار العلماء منذ خمسمائة سنة تعودوا بعدم مراعاتهم للعربية في مخاطباتهم وحواراتهم اليومية ، وهل هذا ينقص من شأنهم شيئاً ؟ والعياذ بالله . والله الهادي ، وكنا نقصد من وراء هذا الحديث كله أن نكشف سئارا عن أن مخالفة قوالب اللغة العربية [في بعض الأحيان] مع علمها والتمسك منها لا تستدعي الطعن ، لذا نرى أن التركيز على الألفاظ ليس من دأب أهل العلم .

(١) فتح القدير ، (كتاب الطلاق ، فصل في الطلاق قبل الدخول) ، للإمام كمال الدين محمد بن الهمام (ط: مكتبة نورية رضوية) ج ٣ ص ٣٩٩ .

النكتة الثانية

في بيان عدم الاهتمام بقواعد الإعراب من طرف بعض الأئمة والعلماء الكبار وثلاثين مثالا لما أشرنا إليه

يا هذا أرى أن العلماء لا يبالون بالأمور الزوائد لشدة انشغالهم إلى أمر أهم وأعظم فإن اللفظ قالب والمعنى روح عندهم ، والذي يتوجه إلى الروح لا يبالغ في الاهتمام بالقالب ، ولما كان تركيزهم على المعنى أكثر كانت عنايتهم باللفظ ضئيلة ، فإن المقصود يتمثل في التعبير عما بداخلهم ، لذا يجد المطلع على كتب الحديث والفقه والأصول وغيرها من العلوم الكثير من المخالفات لقواعد اللغة العربية يبه عليها الشراح وكتاب الحواشي بقصد تعليم الضعاف في اللغة دون تعمّد إلى تحققة السابقين ، وهذا القصور إلى ربه القدير يستطيع الجاز كتاب مبسوط في هذا الأمر بالبيع والتفحص ، ربما يلعب الجهال إلى أن هذا طعن في الأسلاف والعياذ بالله ، مع أن هذا الصنيع لا يقص من كرامتهم ومزلتهم شيئاً ، إلا أن الإشارة إلى مثل هذا الأمر نظراً للضرورة مستحسنة وتدل على قصر النظر البشري ، وإن الظن بالنهضة على السلف الكبار في مثل ما نحن بصددّه ليس غير إساءة الظن ، وإن ذكر بعضها جدير وأحسن ، فاقول واعتذر إلى الكرام الكملة بما دعيت إليه ضرورة الجهلة :

١- يقول الإمام الهمام مسلم بن حجاج النيسابوري في مقدمة صحيحه : (صحب أصحاب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من البدرين هلم جرا) (١) وهنا لم يكن الخلل للإتيان بكلمة (هلم جرا) يقول

(١) صحيح مسلم (باب صحة الاحتجاج بالحديث المعتبر) للإمام مسلم بن حجاج (ط: قديمي كتب عتبه ، كراتشي ، دون سنة الطبع) ج ١ ص ٢٣ والعبارة -

الإمام العلامة القاضى عياض معلقاً على هذه الكلمة : (ليس هذا موضع استعمال هلم جزاً ، لأنها إنما تستعمل فيما اتصل إلى زمان المتكلم بها) (١) وفرزه بالنقل في المنهاج (٢)

٢- ووردت في مقدمة صحيح مسلم العبارة التالية : (فإن اسم السر والصدوق وتعاطى العلم يشملهم) (٣) وهكذا وردت كلمة السر بكسر السين إلا أن الصحيح بالفتح ، يقول الإمام أبو زكريا يحيى التوزى شارحاً هذه الكلمة : (السر هو بفتح السين مصدر سرت الشيء أسرته سرّاً ، ويوجد في أكثر الروايات والأصول مضبوطاً بكسر السين) (٤) ولو جردنا الصحيح من غيره بالنظر في بعض الروايات والأصول وذلك على سبيل الافتراض لبين نحن هؤلاء الرواة الجمهور ، والمهم أن المقصود حاصل ، وأما تأويل الإمام التوزى بقوله : (يمكن تصحيح هذا على أن السر يكون بمعنى المستور كالمذبح بمعنى المذبوح ونظائره) (٥) فأقول : لا يلائمه معطوفاً كما لا يخفى وإليه أشار الإمام بقوله : (يمكن)

على صحيح مسلم كالآتي : وهذا أبو عثمان النهدي وأبو رافع الصائغ وهما ممن أدرك الجاهلية وضحا أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - هلم جزاً (١) وإكمال المعلم بقوائد صحيح مسلم شرح صحيح مسلم للقاضى عياض (ط : دار الرفاء بيروت) ج ١ ص ١٨٢ .

(٢) المنهاج لشرح صحيح مسلم بن الحجاج ، للإمام التوزى (ط : قديمي كتب خانة كراتشي ، دون سنة الطبع) ج ١ ص ٢٢ .

(٣) المرجع السابق ، ج ١ ص ٤ .

(٤) المرجع السابق ، ج ١ ص ٤ .

(٥) المرجع السابق ، ج ١ ص ٤ .

التدال على التمريض :

٣- وورد في صحيح مسلم (وأولفت الحين) (١) وجاء التعليق عليه في المنهاج كالآتي : كذا هو في الأصول (وأولفت) ، وهي لغة قليلة ، والفصح المشهور (وولفت) (بغير ألف) (٢) .

٤- وقد وردت رواية في الصحيح البخارى ، وسنن أبى داود ، والجامع للرملى ، والمحشى للنسائى ، وسنن ابن ماجه ، وسنن الدارمى عن طريق منصور عن الأسود ، عن أم المؤمنين عائشة - رضى الله تعالى عنها - (كانت يأمرنى فأتز) (٣) بإدغام الحمة وتشديد التاء وعلماء العربية لا يجزونه ، لقد ذهب الزمخشري إلى أن : (قول من قال فأتز خطأ) (٤)

(١) صحيح الإمام مسلم (باب صحة الاحتجاج بأخديث المعصين) ج ١ ص ٢٢ .

(٢) المنهاج لشرح صحيح مسلم بن الحجاج ، ج ١ ص ٢٢ .

(٣) صحيح الإمام البخارى (كتاب الحيض باب مباشرة الحائض) (ط : قديمي كتب خانة كراتشي ، دون سنة الطبع) ج ١ ص ٤٤ .

سنن أبى داود (كتاب الطهارة ، باب في الرجل يصيب منها الخ) (ط : آفتاب عالم بريس ، لاهور) ج ١ ص ٣٥ .

جامع الرملى (أبواب الطهارة ، باب ما جاء في مباشرة الحائض) (ط : أمين كميتى ، دهلي) ج ١ ص ١٩ .

سنن ابن ماجه (أبواب الطهارة ، باب ما جاء للرجل من امرأته الخ) (ط : ايچ ايم سعيد كميتى ، كراتشي) ٤٦ .

سنن النسائى (كتاب بدء الحيض والاستحاضة) ج ١ ص ٦٧ .

سنن الدارمى (باب مباشرة الحائض) (ط : نشر السنة ، ملتان) ج ١ ص ١٩٤ .

(٤) المنفصل في النحو (ومن أضاف المذكر الاعتدال) للزمخشري ، ص ٣٦١ .

ويرى ابن هشام أن : «عوام الحديثين يقرؤونه بالفتح وتاء مشددة ولا وجه له لأنه من الإزار ، فقاؤه همزة ساكنة بعد همزة المضارع المفتوحة ويقول العلامة الطيبي : صوابه بهمزتين ، ولعل الإدغام من الرواة (١) وفي مجمع بحار الأنوار : (وهو خطأ لأن همزة لا تدغم في التاء) (٢) وفي القاموس : (لا تقل انزر ، وقد جاء في بعض الأحاديث ، ولعله من تحريف الرواة) (٣) وعندما وردت هذه الكلمة في منية المصلي كالآتي : (إن الجنب إذا انزر في الحمام الخ) (٤) علق عليها العلامة بن أمير الحاج بقوله : الذي تقتضيه القواعد أن يقال : انزر بهمزة ساكنة بعد همزة التوصل ، فأنوا : ولا يجوز إبدال الياء (أي الحاصلة بقلب الهمزة) تاء الخ (٥).

لا يجوز إدخال حرف الجر على هلم :

٥- إن من المعلوم اطلاع الإمام العلامة القاضى عياض اليحصبي على الأدب العربى وفنون الفصاحة ولكنه يقول : (ومن لدن الصحابة -

(١) شرح الطيبي لمشكاة المصابيح (كتاب الطهارة باب الحيض) ط : إدارة القرآن ، كراتشي ج ٢ ص ١٢٧ .

(٢) مجمع بحار الأنوار (باب الهمزة مع التاء) ط : مكتبة دار الإيمان ، بالمدينة المنورة ج ١ ص ٧٢ .

(٣) القاموس المحيط (باب الرأ ، فصل الهمزة للفرز آبادي ط : مكتبة مصطفى الحلبي البابي بمصر) ج ١ ص ٣٧٧ .

(٤) منية المصلي ط : مكتبة قادرية ، لاهور ص ١٤٩ .

(٥) حلية الأغلى شرح منية المصلي .

رضوان الله تعالى عليهم - إلى هلم جراً) (١) مع أن كلمة «هلم» لا تقبل إدخال حرف الجر عليها ، الأمر الذي جعل الفاضل الأديب العلامة أحمد شهاب خفاجي يعلق على هذا التعبير بقوله : في كلامه طييء لم يبهوا عليه ، وهى إدخال إلى على هلم جراً مقابلة لمن الابتدائية الداخلة على لندن ، وهو غير مسموح بل غير صحيح ، لأنها فعل في الحال أو الأصل على اللغتين ، فكانه حذف مجزورها وأصله (إلى وقتنا هذا ، وهلم جراً) وهو صحيح أيضاً غير جار على وفق كلامهم (٢) .

ووردت فيه عبارة أخرى كذلك : (نحن وأنتم نتفى من القول بنال الذي الرمتوه لنا) (٣) بالأخذ في الاعتبار أن الانطواء صفة للمعاني لا للرجال .

لا تستعمل كلفة إلا حالاً لنفوى العقول ولا تضاف ولا تعرف بنال :

٦- وردت في نسيم الرياض العبارة الآتية : (إلى ما روته الكافسة عن الكافلة) (٤) ويقول كذلك الزمخشري الأديب في خطبة كتابه المنفصل :

(١) الشفا بتعريف حقوق المصطفى : للقاضى عياض ط : شركة صحافية ج ٢ ص ٢٠٧ .

(٢) نسيم الرياض ، للإمام العلامة أحمد شهاب الدين خفاجي ط : دار الفكر بيروت ، دون سنة الطبع ج ٤ ص ٣٣٦ .

(٣) المرجع السابق ، ج ٤ ص ٥٢٩ .

(٤) المرجع السابق ، ج ١ ص ٤٢٢ .

((محيط بكافة الأبواب))^(١) إن الكلمة هذه وردت كذلك في الكشف

للزمخشري وخطبة الشاعر الشهير ابن نباتة السعدي ، مع أن علماء اللغة العربية صرحوا أنه لا يجوز تعريف هذه الكلمة ولا تصح إضافتها كما لا يصح إتيانها إلا خلا ، يقول (إمام النجاة سيئوید في هذا الشأن : (زان كافة)) يلزم التكرير والنصب على الحالية ، وقاطية ، وطرا ، ونحوه .

وفي تسميم الرياض عن كلمة كافة : ((وزاد غيره أنها لا تنسب ولا تجمع ولا تطلق على غير العقلاء ولم يرد ذلك لى كلام الله ولا كلام العرب ، ووجه من استعمالها على خلاف ذلك))^(٢) .

ويقول الإمام النووي معلقاً على حديث سيدنا علي - كرم الله وجهه - : ((ما حضنا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بشيء لم يعم به الناس كافة))^(٣) هكذا تستعمل كافة خلا ، وأما ما يقع في كثير من كتب المصنفين من استعمالها مضافة ، وبالترديد كقولهم هذا قول كافة العلماء ، ومذهب كافة فهو خطأ معدود في لحن العوام وتحريفهم .

لا يدخل آل علي ((مرة)) :

٧- يقول الإمام البيهقي عن أثر ابن عباس : في كل أرض آدم : ((شاذ بالوق))^(٤) وهذه الكلمة تكررت عند غيره من الخدائن بهذه الصورة الخاطئة : يقول العلامة العلوي : إدخال آل علي مرة لغة أعجمية صيرت

ابن العرب^(١) .

٨- وقد وردت كلمة عرض بالصاد المعجمة بدلاً من الصاد المهملة ، يقول العلامة محمد الدين الفيروز آبادي في هذا الصدد : العرض : والمحدثون يلحنون فيعجمون الصاد^(٢) .
النسب إلى اثني عشر يثنى عشرية نسبة باطللة :

٩- وهناك مسائل فقهية يبلغ عددها اثني عشرة مسألة كلها تتعلق بأمور عارضة تطل الصلاة عند الإمام الأعظم أبي حنيفة النعمان ولا تصدها على رأي الصاحبين ، وهذه المسائل اشتهرت على لسان الفقهاء بالمسائل الاثني عشرية ، مع أن قواعد اللغة العربية لا تحيز هذه النسبة بهذا الشكل . فقد ورد في البحر الرائق قالنهر الفائق ثم رد اختار في هذا الصدد ما يأتي : اشتهرت هذه النسبة وهي خطأ عند أهل العربية ، لأن العدد المركب العلمي لا ينسب إليه^(٣) . ويقول العلامة الطحطاوي عن هذه النسبة : هي مشهورة عندهم بهذه النسبة إلا أن هذا الاستعمال غير جائز من حيث العربية^(٤) .

كلمة الصلاتية غلط والصحيح صلوية :

١٠- إن عامة العلماء يشيرون إلى نوع من أنواع السجدة

(١) حاشية الحضري على ابن عقيل .

(٢) القاموس المحيط ، للفيروز آبادي ، ج ٢ ص ٣١٩ .

(٣) رد افتار (كتاب الصلاة باب الاستخلاف) للعلامة ابن عابدين الشامي ،

٤٠٨ ، ٤٠٧ .

(٤) حاشية الطحطاوي على مراقي الفلاح (ط : دار المعرفة بيروت) ج ١ ص ٢٥٨ .

(١) المفصل ، للزمخشري ، ص ٩ .

(٢) تسميم الرياض ، للخفاجي ، ج ١ ص ٤٢٢ .

(٣) الشهاج تشرح صحيح مسلم بن الحجاج ، ج ٢ ص ١٦١ .

(٤) كشف الحقائق ومزيل الإلباس (ط : مؤسسة الرسالة بيروت) ج ١ ص ١٢٣ .

بالصلائية ولا يكاد كتاب من كتب الفقه يخلو عن هذه الكلمة ، إلا أن الكلمة الصحيحة هي «الصلوية» دون «الصلائية» وإلى هذا أشار المحقق على الإطلاق الإمام كمال الدين محمد بن الهمام والعلامة غزى في منيع الفقار كما هو رأى غيرهما من العلماء الكبار ، وإليك من نصن العالمين الجليلين : «وهذا لفظ المحقق صواب ، النسبة فيه صلوية برد الفه واولا ، أو حذف التاء ، وإذا كانوا حذفوها في نسبة المذكر إلى المؤنث كنسبة الرجل إلى بصرة مثلاً فقالوا : بصرى لا بصرى كيلا تجتمع تاءان فمضى نسبة المؤنث فيقولون : بصرية ، فكيف بنسبة المؤنث إلى المؤنث (١) . استخدام كلمة الشفعية غلط :

١١- إن أكثر الأئمة المتقدمين يستخدمون كلمة الشفعية بدلا من الشافعية . يقول الإمام طاهر بن عبد الرشيد البخارى : «الافتداء بشفعوى المذهب يجوز إن لم يكن متعصبا» (٢) الخ ويقول كذلك استاذاه الإمام والفقيه الأجل قاضى خان فى الفساوى القاضى خاتبة : «أما الافتداء بشفعوى المذهب قالوا لا بأس به» (٣) وهذه الكلمة وردت كذلك فى خزائنة المفتين وغيره فى الكثير من الكتب ، كما وردت فى أكثر

(١) فتح القدير (كتاب الصلاة باب سجود التلاوة) للإمام محمد كمال الدين بن الهمام ، ج ١ ص ٤٦٩ .

(٢) فتاوى الخلاصة (كتاب الصلاة ، الفصل الخامس عشر فى الإمامة والافتداء) للإمام طاهر بن عبد الرشيد البخارى (ط : مكتبة حبيبه ، الكويت ، باكستان) ج ١ ص ١٤٩ .

(٣) الفتاوى للإمام قاضى خان (فصل فىمن يصح الافتداء به) (ط : تولكشور ، لكو) ج ١ ص ٤٢ .

من الهداية العبارة التالية : «دلت المسألة على جواز الافتداء بشفعية» (١) مع أن النسبة إلى الشافعى ليست غير الشافعى ، به عليه أراج الهداية حيث قالوا : وقع فى بعض نسخها الشافعية وهو الصواب ، لما عرف من وجوب حذف ياء النسبة إذا نسب إلى ما هى فيه ووضع الياء الثانية مكانها حتى تتعد الصورة قبل النسبة الثانية ويعدّها ، والتمييز حينئذ من خارج ، فالياء المتشعبة فيه ياء النسبة (٢) لا آخر الكلمة ككرسى ، هذا لفظ البحر (٣) ومثله فى الفتح وغيره . كلمة المصطفوية من القلظ العام :

١٢- وردت كلمة المصطفوية فى تصانيف أعظم العلماء ، يقول إمام الأدباء والمحدثين أبو الفضل جلال الدين السيوطى : «من الحكم المصطفوية صنوفا» (٤) الخ .

يقول العلامة محمد عبد الباقى الزرقانى فى مستهل خطبته لشريح

(١) الهداية (باب صلاة المؤنث) للمرخين (ط : المكتبة العربية ، كراتشى) ج ١ ص ١٢٥ .

(٢) أقول : الأولى أن يقول : «باء هذه النسبة» ليحوز عن التى كانت قبلها وذلك لأن ما قبلها أيضا قد تكون ياء النسبة ، وإن قلنا على خلاف العرف نظرنا إلى اتحاد الكلمتين : أنها ياء آخر الكلمة ، بيد أن المعنى واضح (عليق المصنف) .

(٣) البحر الزاقي (باب المؤنث والنوخل) لابن نجيم المصرى (ط : شركة ايج ايم سعيد ، كراتشى) ج ٢ ص ٤٥ .

(٤) الجامع الصغير للإمام جلال الدين السيوطى (ط : دار الكتب المعصية بيروت) ج ١ ص ٢ (مقدمة) .

المواهب اللدنية : ((جواهر استخراجها من قاموس الحكم المصطفوية))^(١)
مع أن الألف ياجع أهل العربية تسقط من كلمة المصطفى عند النسبة
ولا تتحول إلى الواو ، فقد ورد في الجارودي : ((قول العامة مصطفى
غلط والصواب مصطفى)).

١٣- يقول الإمام الكردي في كتاب المناقب ضمن وصايا
الإمام -رضي الله تعالى عنه- ((أذكرى ذلك بعلمك))^(٢) وورد كذلك في
الأشياء والنظائر حيث إن سيدي أحمد الحموي يقول : والصواب أذكرى
ذلك بعلمك^(٣).

١٤- ووردت في هذه الوصايا العبارة الآتية : ((لا تحرج إلى
النظارات))^(٤) وذهب صاحب القاموس إلى أن : ((النظارة -
بالتحريف- بمعنى التنزه لمن يستعمله بعض الفقهاء))^(٥).

١٥- يقول الإمام الأوحدي في الفقه وأصوله والأدب العربي الإمام
الأجل علي بن أبي بكر الفرغاني : ((فرائض الصلاة ستة))^(٦) علق عليه
الحقوقي على الإطلاق الإمام كمال الدين محمد بن الهمام بقوله : ((لا يخلو

من شيء لأنه إن اعتبر آحاد الفرائض فريضة لم تجز أثناء في عدده ، وإن
غير فريضة لم يكن ذلك جمعة لأن فاعل إنما يطرد في كل رباعي ثالثه
مدة مؤنث بالتاء كسحابة وصحيفة وحلوبة أو بالمعنى كشمال وعجوز
وسعيد علم امرأة الخ^(١))).

١٦- وفي كتاب المديات من الهداية قول المصنف : ((لألا وزفر
والحسن يقص من الأولى))^(٢) علق على هذه العبارة العلامة أكمل الدين
الهاشمي قائلاً : ((هذا التركيب غير جائز ولو لمسال : لألا هما وزفر
لكان صواباً))^(٣).

١٧- وفي كتاب الإجازات من الهداية وردت العبارة الآتية :
((يجوز طالت المدة أو قصرت لكونها معلومة ولتحقق الحاجة إليها
عسى))^(٤) علق العلامة بدر الدين محمود على استخدام كلمة عسى
بقوله : ((كلمة عسى ههنا وقع مجرداً عن الاسم والخير تقديره عسى
الاحتياج إلى المدة الطويلة يقع ، وأهل العربية يابون ذلك))^(٥).

١٨- وقد ورد في جواب أما أن إسقاط الفاء من عادة العرب يجده
الناظر في مواضع لا تحصى وفي هذا يقول الرضوي : ((وجب الفاء لى

(١) شرح الزرقاني على المواهب اللدنية (ط : دار المعرفة ، بيروت) ج ١ ص ٢.

(٢) مناقب الإمام الأعظم ، للكردي (ط : مكتبة اسلامية ، الكويت ، باكستان)
ج ٢ ص ٩٥.

(٣) غمز الثعوب البصائر مع الأشياء والنظائر ، للحموي ، (ط : إدارة القرآن ،
كراتشي) ج ٢ ص ٣٢٥.

(٤) المرجع السابق ، ج ٢ ص ٣٢٨.

(٥) القاموس المحيط ، للفيروزآبادي ، ج ٢ ص ١٥٠.

(٦) الهداية ، للمرغيناني ، ج ١ ص ٨٢.

(١) فتح القدير للإمام كمال الدين محمد بن الهمام ، ج ١ ص ٢٣٩.

(٢) الهداية (فصل في أصابع اليد) ، للمرغيناني ، ج ٤ ص ٥٩٩.

(٣) فتح القدير ، للإمام محمد بن الهمام ، ج ١ ص ٢٢٧.

(٤) الهداية (فصل في كتاب الإجازات) للمرغيناني ، ج ٣ ص ٢٩٩.

(٥) البتية شرح الهداية ، للعلامة بدر الدين العيني (ط : المكتبة الإمدادية مكة المكرمة)

ج ٣ ص ٦٢٥.

جواب أما ... ولا يحذف [أى القاء] فى جواب أما إلا لضرورة نحو قوله :
أما الصدود لا صدود لديكم^(١) .

١٩- يقول العلامة سيدى عبد الرؤف المداوى فى خطبة كتابته :
« جمعت فيه زهاء عشرة آلاف حديث فى عشرة كرايس ، كل كرايس
ألف حديث »^(٢) وقال العلامة الخفق زين بن إبراهيم بن نجيم لى كتابه
ضوابط وقواعد : « اختصرت فى هذا الكرايس الخ »^(٣) علق على
استخدامه كلمة الكرايس العلامة سيدى أحمد المصرى بقوله : « فيه أنه لا
يقال فى الواحد كرايس ، وإنما يقال كرايس »^(٤) .

٢٠- وقال ابن نجيم : « أما بقضاء القاضى لا »^(٥) علق عليه
العلامة أحمد الطحاوى المصرى بقوله : كان ~~صحيحاً~~ أن تقرن بالقاء ، ومن ثم
توهم بعض أرباب الحواشى ، وحل كلام المصرى على غير ما أراد ،
والله المستعان^(٦) .

٢١- وفى مسهل هذا الكتاب قول المصنف : منها (أى من

ص ١٠٠) سبعة^(١) علق عليه الشارح قائلاً : كان الصواب أن يقول سبعة
بأن المعدود مؤنث^(٢) .

٢٢- يقول نحوه الأصغر وتلميذه الأكبر العلامة عمر :

وفاسد من العقود عشر إجارة وحكم هذا الأجر

أقول : العقد مذكر وقد كان النظم يحتمل العشرة وإبدال
مؤنث بالأجرة .

٢٣- يقول الأديب الفقيه والخفق الأديب سيدى علاشى محمد
لدمشقى فى شرح من غزى : « السكوت كالنطق إلا فى مسائل عد منها
سبعة وثلاثين الخ »^(٣) . أقول : حقه سبعة لأن المعدود المسائل .

٢٤- ورد فيه النص الثانى : « ستمائة وثلاثة وعشرون »^(٤) الخ
ملخصاً . أقول : بل ثلاث وعشرون وما اعتذر به العلامة الحلبي ، وأقره
شامى^(٥) فينتظم بما أتت فى الغمز تحت قوله : سرد منها سبعة^(٦) .

(١) الأشباه والنظائر ، ج ١ ص ١٧ (خطبة الكتاب) .

(٢) غمز العيون البصائر شرح الأشباه والنظائر ، ج ١ ص ١٧ .

(٣) در مختار (كتاب الوقف) (ط : مجتاهدى دهلى دون سنة الطبع) ،
ج ١ ص ٤٠٠ .

(٤) المراجع السابق ، ج ١ ص ٧٢ .

(٥) قال الحلبي ثم الشامى : أنت فقط العدد لحذف المعدود الخ (رد المحتار ، ج ١
ص ٣١٩) (تعليق المصنف) .

(٦) قال فى الغمز (ج ١ ص ١٧) : كان الصواب أن يقول سبعة لأن المعدود مؤنث على
ما هو القاعدة المشهورة لا يقال القاعدة مفيدة بما إذا كان المميز مذكوراً بعد العدد
وأما إذا حذف أو قدر فيجوز حينئذ فى اسم العدد إحقاق التاء وحذفها ، لأن

(١) شرح الكافية ، للشيخ رضى الدين (ط : دار الكتب العلمية ، بيروت) ج ٢
ص ٣٩١ .

(٢) كنوز الحقائق ابن حديث خير الخلاق ، للعلامة عبد الرؤف المداوى (دار الكتب
العلمية ، بيروت) ج ١ ص ٥ (مقدمة الكتاب) .

(٣) الأشباه والنظائر ، ج ٢ ص ٣٢٢ .

(٤) غمز العيون البصائر شرح الأشباه والنظائر ، ج ٢ ص ٣٢٢ .

(٥) الأشباه والنظائر ، ج ٢ ص ٩٤ .

(٦) غمز العيون البصائر شرح الأشباه والنظائر ، ج ٢ ص ٩٤ .

٢٥- ونجد فيه : ((في الحديث من قرأ الإخلاص أحد عشر

مرة))^(١) علق عليه المصحيح بقوله : صوابه إحدى عشرة مرة كما لا يخفى^(٢) أقول : إن المروي في الحديث صحيح ولا يعارض القواعد التحوية . رواه الدارقطني والطبراني والبيهقي ، كلهم عن سيدنا علي كرم الله تعالى وجهه مرفوعاً . أما مخالفة التحوية فقد بعث من عدم الدقة في النقل .

٢٦، ٢٧- ورد في رد المختار نقلاً عن شرح الملباب : ((الإخلاص

اثنى عشر مرة أو إحدى عشر))^(٣) علق عليه المصحيح بقوله : ((هكذا يحفظه . وصوابه اثنى عشرة مرة))^(٤) أقول : وكذلك إحدى عشرة .

٢٨- في المنية : ((ذكر في المحيط : الأظهر أن لا يعود لحجة))^(٥)

وعلق عليه صاحب الحلية بقوله : الوجه الظاهر أن يقال لحجة لأن البير

= نقول ما ذكر من جواز التاء وعددها إذا كان المميز الأيام وحدها ، وأما إذا كان غير الأيام فالوجه مطابقة القاعدة الأصلية من إثبات التاء في المذكر وحذفها في المؤنث ، وأما إذا كانت الأيام مع الليالي فالمسحوق حلف التاء تغليبا لليالي ، كذا فوره الإمام السبكي في رسالته إبراز الحكم قال : وفي كلام سيوفه وابن مالك ما يدل عليه ، انتهى للمحفظ [تعلق العلامة المصنف] .

(١) رد مختار (باب صلاة الجنازة) ج ١ ص ١٢٦ .

(٢) رد المختار ، للعلامة محمد بن عابدين الشامي ، ج ١ ص ٦٠٥ (هامش)

(٣) المرجع السابق ، ج ١ ص ٦٠٥ .

(٤) المرجع السابق ، ج ١ ص ٦٠٥ (هامش) .

(٥) منية المصلي (فصل في التجاسة) ، ص ١١٢ .

مؤنة جماعة^(١) .

٢٩- وفي المنية كذلك : ((والفخذ مغطى))^(٢) علق عليه الشارح

الحق قائلاً : الوجه الظاهر أن يقول المصنف : ((والفخذ مغطاة)) فإن

تفخذ مؤنث^(٣) .

٣٠- ورد نص في التقنية والأشباه والدرر وغيرها من الكتب

واللفظ لابن لحيم : الخلوة بالحرم ماحة إلا الأخت رضاعاً والعهرة الشابة^(٤) .

يقول العلامة أحمد الحموي بعد قيامه بالبحث في معنى كلمة

((الصهر)) : فعلى هذا لا يقال الصهرة على كل حال الخ^(٥) قلت : وظنى أنه من العذلات لا تكاد العرب تعرفه .

هل يستطيع أحد بعد النظر فيما ذكرناه آنفاً وفيما يحال له أن يطلع

في كمال فضل العلماء الكاملين وفضل كمال الأئمة المحدثين ، والفقهاء ،

والأصوليين أمثال الإمام مسلم ، والإمام البيهقي ، والإمام قاضي

عياض ، وعامة رواة الصحيح للإمام مسلم ، وأجلة رجال الصحاح

الستة ، والإمام قاضي خان ، والإمام صدر الشريعة ، والإمام

الكردري ، والإمام السيوطي ، والعلامة المناوي ، والعلامة الزرقاني ،

(١) التعليق الجليل بهامش منية المصلي ، ص ١٧٧ .

(٢) منية المصلي ، ص ١٧٧ .

(٣) التعليق الجليل بهامش منية المصلي ، ص ١٧٧ .

(٤) الأشباه والنظائر ، ج ٢ ص ١١١ .

(٥) غمر غيون البصائر شرح الأشباه والنظائر ، ج ٢ ص ١١١ .

والعلامة علي القاري ، وأئمة الهدى مصنفى الهداية ، والخلصة ،
والخزانة ، والمنية ، والبحر ، والنهر ، والدر ، وأجلة الأدباء كالتحشيري ،
والزاهدى ، وابن نباته .

لقد قام الإمام أبو سليمان الخطابي بتفصيل استخدامهم كلمة وردت
فى الحديث : اللهم إني أعوذ بك من الخبث الخ حيث قال عامة
المحدثين : يقولون الخبث بإسكان الياء وهو غلط^(١) والصواب التضمين^(٢) .

وتحدث الإمام أبو ذكريا يحيى النورى عن بعض الأئمة كعمرو بن
العاص ، وشداد بن الحاد ، وابن أبى الموالي حيث قال : أما العاص فأكثر ما
يأتى فى كتب الحديث والفقه ونحوها بحذف الياء ، وهى لغة والفصح
الصحيح العاصى^(٣) بإثبات الياء وكذلك شداد بن الحادى ، وابن أبى
الموالي ، فالفصح الصحيح فى كل ذلك وما أشبهه إثبات الياء ، ولا اغوار
بوجوده فى كتب الحديث ، وأكثرها بحذفها^(٤) .

(١) أقول : ليس بغلط بل هى قاعدة مطردة فى أمثاله مثل كتب ورسول ونكسر
وغرها ، وبهما قرئ فى السبع المتواترات [تعلق المصنف] .

(٢) معام السنين لأبى سليمان الخطابى ، (ط : المكتبة الأثرية ، مائة
باكستان) ج ١ ص ١٦ .

(٣) أقول : والصواب عندى أن كليهما صحيح فصيح ، حذف الياء وإثباتها ،
وبهما قرئ فى السبع يوم التلاق ، يوم التناد ، يوم يمدح السداع ، بل
الاكتفاء عن الياء بالكسرة بل عن حروف المد بالحرركات باب واسع فى
لغة العرب ، قال تعالى : يخاف وعيد ، بإعجاب فائقون ، ذلك ما كنا نسمع ،
وعليه فى القصة : جواز الصلاة بقوله : أعذ بالله فكان أعوذ ، وتعال جدد
مكان تعالى [تعلق المصنف] .

(٤) الشهاج لشرح صحيح مسلم بن الحجاج ، ج ١ ص ١٠ .

يقول العلامة الزرقانى : العاصى بالياء وحذفها ، والصحيح [هو]

الأول عند أهل العربية ، وهو قول الجمهور كما قال النورى وغيره ، وفى
تبصير المثبتة قال النحاس : سمعت الأخطش يقول : سمعت الميرد يقول : هو
بالياء ، لا يجوز حذفها ، وقد طبعت العامة بحذفها قال النحاس : هذا يخالف
جميع النحاة الخ^(١) .

إن كثيرا من الشراح يوجهون النقد إلى عبارات المصنفين من الناحية
العربية كما سبق أن ذكرنا الأمثلة ، ومن هنا لسال هؤلاء الشراح هل
مأخذهم على عبارات المصنفين تدل على نقصهم وقصر باعهم فى العربية ؟
فإننا نجدهم يستكبرون هذا السؤال معترفين بغزارة علم هؤلاء المصنفين
وكما هم فى العلوم الإسلامية والعربية ، ورفعة مكانتهم من بين أهل
العلم وذلك بسبب أن المهتم العالية هؤلاء الأعلام تركزت على المعانى
ولم تهتم بالزوائد ، وإلا فلا يمكننا أن نعتقد عدم تمكنهم من الإتيان
بالعبارات الصحيحة والعباد بالله سبحانه وتعالى .

يحدثنا العلامة سعد الدين التفتازانى عن الإمام الأجل صدر الشريعة
الثانى عبيد الله بن مسعود قال لأ : المصنف^(٢) كثيرا ما يتسامح فى
صلاات الأفعال ميلا منه إلى جانب المعنى^(٣) .

(١) شرح الزرقانى للمواهب اللدنية (ط : دار المعرفه ، بيروت) ج ١ ص ٢٩ .

(٢) أقول : بحروف المعانى تقوم بعضها مقام بعض كما فى الصحاح ،
والتصمين باب واسع فى كلام العرب [تعلق المصنف] .

(٣) التوضيح والتلويح ، للعلامة سعد الدين التفتازانى (ط : نورانى كتب
خان ، بشار) ص ١٠ .

يتحدث الإمام علي بن أبي بكر عن صاحب الهداية فيقول : إنه لا يذكر الفاء في جواب أما اعتماداً على ظهور المعنى (١).

يقول العلامة الطحطاوي : الفقهاء يفتقرون عطف المشتى المقطوع على المتصل وعكسه ، إذ ليس المقام إلا لإفادة الأحكام (٢) والله يقول ضمن كتاب الشقعة : (إن الألفاظ قوالب ما لها عبرة ، إنما العبرة للمدعى) .

يا هذا ، إذا كان استغناء العلماء عن الزوائد لا يشغلهم بالمعنى فما بال الأولياء الصالحين قدست أسرارهم الذين بلغت ميوهم إلى المعالي إلى القيمة ، وفي هذا المعنى يمدحنا العارف بالله المولسوي جلال الدين الرومي قدس سره وهو يقول : إن مخ العلم كبير وقشره صغير ، فعندما يكبر مخ العلم يرق قشره ويصبح كالمعدوم ، فإلك ترى اللوز والجوز والفستق يرق قشره عندما يكبر فيه ، وكذلك فإن العاشق يزداد قشاره كلما كبر الحب في داخله ، وأحب لله تعالى عندما تتمكن من ليه أوصاف القديم الخالق تفتي كنتيجتها أوصاف المخلوق الحادث فإن الاحتفاظ بتواضع الجسد عند امتلاء الروح واستغنائها كالجمع بين الضدين وهما لا يتمشيان معاً ، وعندما يتمتع الإنسان بخلاوة وصل الحبيب لا يأتيه بالوسيلة التي أوصلته إلى تلك الخلاوة .

جعلنا الله منهم ورحمنا بهم آمين ثم آمين .

(١) مفتاح السعادة ، للإمام علي بن أبي بكر .

(٢) حاشية الدر المختار ، للعلامة الطحطاوي (ط : دار المعرفة ، بيروت) ج ١

البكّة الثالثة

في حال كون اللغة العربية غير اللغة للعالم

إن العالم الذي هو من أصل عربي لا يحتاج إلى التركيز على القواعد في لغته الأم ، أما إذا كان العالم [البارع في العلوم الإسلامية والعربية] غير عربي بالإضافة إلى عدم تركيزه على اللغة العربية [مثل الإمام مسلم ، والإمام البيهقي ، والإمام القرطبي ، وغيرهم -رحمهم الله تعالى-] فإن وقوعه في الخطأ انفعوى ممكن . مع الأخذ في الاعتبار أن هذا الأمر لا يدل على عدم علمه باللغة العربية ، ولا يجعله في محل الطعن . هل يجوز الاستدلال بالحديث النبوي الشريف على العربية أم لا ؟

يا هذا إن علماء العربية مختلفون في أمر الاستدلال بالحديث النبوي الشريف على العربية ، فإن بعضهم لا يعبرونه حجة في هذا الأمر ، وذلك لأن الرواة إذا كانوا من العرب فالحديث المروي عنهم حجة وإلا فلا . لأن النقل بالمعنى أمر شائع ، وفي هذا يقول الخفقي على الإطلاق كمال الدين محمد بن همام :

(وفي المسألة رأي مسألة الاستدلال بالحديث على العربية ثلاثة مذاهب : الإطلاق ، والمنع ، والتفصيل بين كون الراوي عربياً فتعني ، أو عجمياً فلا (١)) وعلى هذين المذهبين لا تكون مرويات سيدنا سلمان الفارسي ، وبلال الحبشي ، وصهيب الرومي صالحة للاحتجاج بها ، أقول : ويجب استثناء جوامع الكلم ، فليس لنقل بالمعنى إليها من

(١) فتح القدير ، للإمام ابن همام ، ج ١ ص ١١٠ .

سبيل ، وماذا يلحق من شين بالصحابة الثلاثة المذكورين ألفا نظراً لكونهم
غير العرب ، وعدم صلاحية الاستدلال على العربية بمروياتهم ؟

يا هذا لقد استخدم الإمام البخارى - عليه رحمة العزيز البارى -
والذى كان من اصل فارسي كلمة «هم» الفارسية مكان كلمة «ايضاً»
في عبارته العربية ورويت عنه كذلك حيث قال : «يزاد في هذا الباب هم
[كلمة فارسية بمعنى ايضاً] حديث مالك عن ابن شهاب ، ولكنى اريد
ادخل فيه غير معاد^(١)» ومن الواضح ان الإتيان بكلمة فارسية في
العبارة العربية أكثر من عدم الالتزام بالقواعد العربية ، فهل هذا الخطأ يقلل
من قيمة الإمام البخارى ؟

يا هذا ! يحدثنا الإمام على بن المدينى أستاذ الإمام البخارى عن
الإمام الأجل وشيخ الحديثين الأعلام وكيع بن الجراح أنه كان يلحن ، ولو
ذكرت لك تلك الألفاظ تصاب بالدهشة والاستغراب ، فقد كان ينطق
عيشة بدلاً من كلمة عائشة علماً على أم المؤمنين عائشة الصديقة
-رضي الله تعالى عنها- وفي هذا يقول الإمام الذهبي : وكيع بن
الجراح بن مليح ، أبو سفين الرواسي الكوفي ، الخافظ ، أحد الأئمة
الأعلام ، قال ابن المدينى : كان وكيع يلحن ولو حدثت بالفاظه لكانت
عجبا ، كان يقول : حدثنا الشعبي عن عيشة^(٢) .

(١) صحيح البخارى (كتاب النامك باب التعجيل إلى الموقف)
ج ١ ص ٢٢٦ .

(٢) ميزان الاعتدال (ترجمة رقم ٩٣٥٦ ، وكيع بن الجراح) ، للذهبي (ط دار
المعرفة ، بيروت) ج ٤ ص ٣٣٤ ، ٣٣٥ .

يا هذا ! لقد توجه بعض المخالفين بالظعن في عربية الإمام الأجل
عليه الأمة الإمام أبى حنيفة -رضي الله تعالى عنه- وهذا الظعن مع الرد
عنه مذكور في التاريخ لابن خلكان وغيره من كتب التاريخ ، ولو افترضنا
جهد الإمام أبى حنيفة في العربية فلا يرجع ذلك إلا إلى عدم اهتمامه
بها نظراً للاشتغال بالمعنى ، ولا يخطر ببال أحد ولو أجهل الناس أن
الإمام أبى حنيفة النعمان كان قليل الإمام بالعربية ، بل كان إماماً جليلاً
راعياً في علوم العربية ايضاً .

يا هذا ! ما سبب عدم الثقة في عربية الشعراء المؤكدين ؟ إذ لا نجد
عندهم قلة الاهتمام باللغة العربية ، بل نجد أن همم الشعراء والخطباء
خاصة المتأخرين منهم مركزة على الألفاظ ، ولكنهم مع هذا لا
يعيرون من العرب الخلف فما سبب عدم الثقة في عربيتهم مع أنهم ليسوا
بغارجين من العرب ؟ ومن هنا نقول عن أئمة الدين غير المشغولين بالألفاظ
والذين يرون الاشتغال بالألفاظ أمراً مدموماً غير مهم : إنهم لو قئلوا
لاهتمام بقواعد العربية فهل جاؤا بما يثير الظعن في عربيتهم ؟

النكتة الرابعة

في أقسام الفن وأحكامه

التي يجعلها المتكلم فيها نصب عينيه

أقول وبالله التوفيق : إن الإنسان عند حديثه في فن من الفنون يجعل حديثه في أربعة أقسام تالية :

القسم الأول : وهو المقصود بالذات من كل الوجود يتمثل في المعاني التي يعبرها المتكلم فيها مقاصد الفن الذي هو بصده ، ويسوق الكلام خصيصاً من أجل تلك المعاني كمسائل الصلاة في باب الصلاة ، ومسائل الصوم في باب الصوم .

القسم الثاني : المقصود بالذات من ناحية عموم المراد ، ومقصود بالغير من حيث خصوص المقام ، النوع الأول يتمثل في تلك المعاني التي هي من مقاصد الفن في حد ذاتها ولكن الكلام لم ينش من أجلها ، ومثال ذلك ورود بعض مسائل الصوم ضمن الأدلة والشواهد في كتاب الصلاة وكذلك بالعكس ، فإن مسائل الصوم في حقيقة الأمر وفي حد ذاتها من مقاصد الفقه ولكن ورودها في كتاب الصلاة أمر تبعي وليس من مقاصد كتاب الصلاة ، والقارئ الكريم يجد أمثال النوعين المذكورين ضمن القسم الثاني كثيراً في تعليقات (الهداية) وغيره من الكتب المعتمدة .

القسم الثالث : أمور ليست من مقاصد الفن الأصلية بل هي مقصودة بالذات ، كورود الأحاديث في كتب الفقه ، أو ذكر مسائل الفقه في كتب الأصول والحديث ، والقارئ الكريم يجد أمثال القسم الثالث في

مع الزمذى بكثرة ، وفي صحيح البخاري بقلة ، وفي كتب الأصول من الأمثلة وأنظار بوفرة .

القسم الرابع : أمور ليست من المقاصد الأصلية ولا من التبعية أصلاً ، إنما هي آلة لبيان المطالب الأصلية والتبعية وهي الألفاظ . كتب الفروع تفوق كتب الأصول :

انظر إليها القارئ الكريم إلى الآثار التي تروث على قلة الالتفات من منظور القسم الثاني والثالث وفي هذا يقول العلامة سيدي أحمد الحموي : لا عبرة بما في كتب الأصول إذا خالف ما ذكر في كتب الفروع كما صرحوا به (١) .

ذكر المسألة في غير بابها مظنة التساهل :

لقد صرح (العلامة أحمد الحموي) كذلك بأن الحكم المذكور في باب أول من المذكور في غير باب ، والذي يخالف الحكم المذكور في باب (٢) . ورد في الدر المنقى ثم في رد المختار ما يلي : استفيد منه أن الحكم المذكور في باب أول من المذكور في غير باب ، لأنه كأنه استطراد هكذا لادنيه والذي لم يحفظ . اهـ

وجاء في حاشية الطحطاوي ما يلي : الذي يظهر أن ما هنا هو دعوى عنيد ، لأن ذكر الشيء في غير محله قد يتساهل فيه (٣) .

(١) غمر الحيون والبصائر شرح الأشياء وأنظار ، ج ١ ص ٢٤٥ .

(٢) رد المختار ، للعلامة ابن عابدين الشامي ، ج ٣ ص ١٥٢ .

(٣) حاشية الطحطاوي على مراقي الفلاح .

ثما يستدعي التفكير أن التنازل عن القسم الثاني والثالث (المذكورين آنفاً) يؤدي إلى التساهل ، فلا بد أن يكون القسم الرابع موضع الإهتمام والتساهل ، لذا لا توى الضعف في اللفاظ من آداب المحصلين ، ولا يعاب المصنف بسبب هذا الضعف ، كما أننا لا نقول بناء على عدم التقيق في المسائل الفرعية الواردة في كتب أصول الفقه أن المصنف غير فقيه ، أو أن كتبه الفقهية لا تبلغ مبلغ الاعتبار ، وإن نظير القسم الثاني موضع للمرام للغاية ، وقد نقرر أن يكون كلام هذا العالم المذكور في غير الباب مرجوحاً نظراً للتساهل ، ولو كان هذا الكلام من هذا العالم دالاً على عدم دقته فكيف يكون كلامه الآخر المذكور في الباب مستنداً ؟

من هنا نستطيع القول : (إن عدم الاهتمام بقواعد العربية من طرف العلماء (في بعض الأحيان) ليس إلا بسبب التساهل ، وهذا الأمر لا ينسب الغريبة والاستعجاب وكذلك لا ينافي جلالتهم العلمية وفصلهم العميم .

الفكئة الخامسة

الضرورات الشعرية وأفاقها الواسعة
وذم الانغماس فيها

لقد كان الكلام كله في النثر فما بال النظم حيث إن مجال الشعر حق للغاية ، ولا يمكن المشي في هذا المجال إلا بصرف الفهمة تجاه أمور الشعر الزوائد على وجه الخصوص ، والذي لم ينظم الشعر ولم يتألف بهذا الفن ولم ينظر فيه لا يعرف ما في الشعر من ضيق الخيال وعسر المقال وبعد المثال ، لذا جاء الشعراء الملقبون والسحرة المؤلفون بأمور في نظمهم والتي تشوه حلية القصاحة وتبطل قوانين العربية إذا أتوا بها في نثرهم ، ألم يرد في الكتب الأدبية أن القاعدة كذا وشذ الشعر الفلاني عن القاعدة للضرورة الشعرية ؟

نقل عن إمام أهل العربية أبي الحسن الأخفش قوله : حق هذا (كذا وكذا) إلا أنه يحىء في الشعر ما لا يحىء في الكلام (ملخص) (١) .
يقول ابن جني : (إن احتاج إلى ذلك في شعر أو صجع فإنه مقبول منه غير منقح عليه) (٢) .

ويقول الإمام الأخفش : إن صرف ما لا يتصرف مطلقاً لغة الشعراء ، وذلك أنهم كانوا يضطرون كثيراً لإقامة الوزن إلى صرف ما لا

(١) الصحاح ، للجوهري .

(٢) الخصائص ، لابن جني .

يتصرف ، فتمرن على ذلك ألسنتهم فصار الأمر إلى أن صرفوه في الاختيار أيضاً (١) .

سبحان الله : إن الذين عاشوا في أعطاف الشعر حتى أصبح الشعر دينهم وديناهم وفنهم ، والذين انحروا في الشعر حتى نالوا البراعة وبلغوا مبلغ السحر في الشعر ، لراهم يأتون بأمور تخالف قواعد اللغة العربية بعذر الضرورة الشعرية ، ولو أنهم أتوا بهذه الأخطاء في النثر لوصفوه بأخطأ وقاموا بتخطئة أنفسهم ، إذا كان هذا حال تلك الصفوة فما بال أئمة الدين وعباد الله المخلصين الذين يرون زيادة الاشتغال بالشعر وكثرة النظم عيباً عليهم ، ومخالفة لقول النبي الأكرم صلى الله تعالى عليه وسلم : «من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه» (٢) وقد قال النبي -عليه الصلاة والسلام- «لأن يمتليء جوف أحدكم فيحيا حتى يرديه خير له من أن يمتليء شعراً» رواه الأئمة ، أحمد ، والسنن عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه (٣) وقال -عليه الصلاة والسلام- : «هلك المتطعمون ، هلك

(١) الخصائص : لابن جني .

(٢) جامع الترمذي ، ج ٢ ص ٥٥ .

(٣) صحيح البخاري (كتاب الأدب) ج ٢ ص ٩٠٩ .

صحيح مسلم (كتاب الشعر) ج ٢ ص ٢٤٠ .

جامع الترمذي (أبواب الأدب) ج ٢ ص ١٠٨ .

سنن أبي داود (باب ما جاء في الشعر) ج ٢ ص ٣٢٧ .

سنن اندلسي (كتاب الاستيذان) ج ٢ ص ٢٠٧ -

المتطعمون (١) رواه أحمد ، ومسلم ، وأبو داود عن أبي مسعود -رضي الله تعالى عنه- وقال -عليه الصلاة والسلام- : «الحياء والمعنى شعبان من الإيمان ، والبذاء والبيان شعبان من التفائق» رواه أحمد ، والترمذي وحسنه ، والحاكم وصححه عن أبي أمامة -رضي الله تعالى عنه- (٢) .

وإن أئمة الدين لا يبيحون البراعة في النظم ، والجمال ضيق إذ يبحث الشعراء البارعون عن منافذ للقول ، فعدم اهتمامهم بقواعد اللغة ليس بعيب ، وفي هذا المقام كنت أستطيع إثبات خمسة وعشرين نموذجاً على سبيل المثال مما نظمه أكابر شعراء العرب حيث ذهبت بهم الضرورة الشعرية إلى ما هو خارج عن قواعد العربية وبعد مهجوراً ، ولولا الضرورة الشعرية لكانت غلطة مهجورة ، ولكن شهرة هذه الأمور وظهورها معني من إيضاح الأمر الواضح .

سنن ابن ماجه (أبواب الأدب) ص ٢٧٥ .

مسند الإمام أحمد بن حنبل (ط : المكتب الإسلامي بيروت) ج ٢

ص ٢٨٨ ، ٣٣١ .

١ ، صحيح مسلم (كتاب العلم) ج ٢ ص ٣٣٩ .

مسند الإمام أحمد بن حنبل ، ج ١ ص ٣٨٦ .

مسند أبي داود (كتاب السنن) ج ٢ ص ٢٧٩ .

٢ ، جامع الترمذي (أبواب البر والصلة ، باب ما جاء في المعنى) ج ٢ ص ٢٣ .

مسند الإمام أحمد بن حنبل ، ج ٥ ص ٢٦٩ .

على القاصرين ألا يقلدوا كبار الشعراء ففى التصرفات
الناشرة :

ومن الطريف أن التصرفات البعيدة عن القواعد تعتبر من خواص
عظماء اللغة والبيان ، بينما متع القاصرون من الإتيان بهذه التصرفات ،
فإنهم إن أتوا بها يعتبر صنيعهم هذا من عجزهم .

يقول الإمام الحقيق على الإطلاق الإمام كمال الدين محمد بن
الهمام : أما قول الشاعر : ((والأرض أبقل أبقالها)) يتأويل المكان ، فهو
تصرف ليس لنا أن نفعله بل إنما أن نزول الوارد عنهم مخالفاً لجسادهم ،
لذا لم يورد أهل الشأن هذا البيت إلا مثالا للشذوذ ، غير أنهم عثروا
الواقع بما ذكروا (إلا أنه أعطى ضابط صحة استعمال مثله لمن شاء^(١)) .

عندما يهمل أهل اللغة قواعدهما ولا يعتنى بهما من هو معتز ببرايعته
فى اللغة فمن الغريب أن ياب الإهمال لا يفتح لمن لا يعتنى باللغة
وقواعدها اعتناء بالغا (بل ينصب اهتمامه كله فى المعانى) .

يقول الشاعر الفارسي ما معناه : ((غيب على ما هو مبعث
الفخر عندك)) .

النكتة السادسة

النسيب النفيس لصدور كلمات رفيعة من
أولياء الله الصالحين والمؤيد بحديث
نبوى شريف

لقد تحدثنا حتى الآن عن كلام العوام وأحوال الأنعام وأقول وأتوجه
الآن إلى الوقت الخاص الذى يحصل للعوام عند حصول المراتم العظيمة ،
ويحصل للأولياء الكرام - قدسبت أسرارهم - حين حصول المورثات
الجليلة والتجليات الفخمة بكثرة ، أعنى البهجة التى تحيط بمجامع القلب
وتلبيه عما حوله ، وهذه اللحظة توافى الألفوف وتذوقهم حلوة (حتى
تعلموا ما تقولون)^(١) لقد ورد فى الحديث الصحيح أن الرسول صلى الله
تعالى عليه وسلم ضرب مثلاً بين حال عید من العباد ، رواه البخارى
ومسلم فى صحيحيهما بألفاظ عديدة عن عدة من الصحابة - رضى الله
تعالى عنهم - والغرض يتعلق بأحد ألفاظ مسلم عن أنس بن مالك -
رضى الله تعالى عنه - قال : قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم :
((الله أشد فرحاً بتوبة عبده حين يتوب إليه من أحدكم كان على راحله
بأرض فلاة ، فانفلتت عنه وعليها طعامه وشرابه فأيس منها فأتى شجرة
فاضطجع فى ظلها قد أيس من راحله فبينما هو كذلك إذ هو بها قائمة

(١) سورة النساء ٤٣/٤ .

(١) فتح القدير ، للإمام محمد بن الهمام ، ج ١ ص ٢٣٩ .

عنده فأخذ بخطامها ثم قال من شدة الفرح : (اللهم أنت عبدى وأنا ربك)
أخطأ من شدة الفرح (١).

لقد كانت هناك الفرحة الخضة التى أخته عما يقول حيث إنه يريد شيئاً ولكنه يقول شيئاً آخر ، أما أولياء الله الصالحون - فنعنا الله تعالى بهم - فإنهم يتمتعون عند نزول التجليات الإلهية بالبهجة والسرور بالإضافة إلى الاستغراق فى مشاهدة الجلال والجمال الإخمين وتبلغ بهم هذه البهجة إلى درجة نلهمهم عن أنفسهم ، وفى هذا يقول الإمام جلال الدين الرومى :

كل شيء فأنه غير المفق - إن تكلف أو تصلف لا يليق

لا تكلفنى لبانى فى الفنا - كنت أفيهمى فلا أحصى فنا

ومما قاله الشيخ الرومى فى بيته الفارسيين : عندما لم يكن موافقاً لتوقع كل ما يقوله (الرجل المشار إليه آنفاً) لم يكن التصنع غير لائق جداً ، وماذا أقول فى ذلك الحبيب الذى لم يعرف حقيقته أحد كما حلقها ، مع أنى لا أجد عرفاً شبيهاً فى جسدى .

وفى مثل هذه الملاحظات يخرج من أفواههم فى نشوة التجليات الإلهية ما لا يعرفونه حتى أنهم ينسون من هم ؟ وأين هؤلاء ؟ فلا عجب لو خرج من فم أحد (أنا الحق) أو (سبحاننى ما أعظم شأنى) بدلاً من

(١) صحيح مسلم (كتاب التوبة) ج ٢ ص ٣٣٥ .

أقوله (أنت الحق) و (سبحانك ما أعظم شأنك) وذلك على غرار ما نقله سيد الأنبياء - عليه الفضل الصلاة وأجل الصليم - عن عبد من عباد الله تعالى يقول فى شدة الفرح : (اللهم أنت عبدى وأنا ربك) بدلاً من أن يقول : (اللهم أنت ربى وأنا عبدك) (١) وقد برره الحبيب المصطفى صلى الله تعالى عليه وسلم بقوله : (أخطأ من شدة الفرح) فلا عتاب ولا مؤاخذه عليه شرعاً فإن السلطان لا يقبض أخراج من الصعوك .

جلالة مرتبة الشيخ عبد القادر الجيلانى وبينان الرؤىة المنامية التى حظى بها الشيخ خليفه بن موسى رحمهما الله تعالى

هذا ما ذكرناه آنفاً حال أهل السكر ، ولكن أخص الخواص الذين جعلهم سلطان الرسالة - عليه الفضل الصلاة والصحة - فى ظل حمايته وتربيته الخاصة ، ومنحهم إمامة الأمة وزعامة الملة بعد أن جعل كلا منهم الثوارث الأتم والخلقة الأعظم ، وثأبهم من الأعلى - جل جلاله - من القوى النبوية والفيوض المصطفوية ما تأتى ، بناءً على تلك القوى والفيوض تنأهل قلوب أخص الخواص لحمل الأثقال العظيمة ولا يهتزون ، ولقد تصبح آية ﴿ما زأغ البصر وما ظلمى﴾ جنة لهم ، ﴿وما كذب القواد ما رأى﴾ حماية لهم ، وتسمع قلوبهم برحابة جليلة تتسع بعد ذلك أفئدتهم لألوف من بحار (سقانى الحب كأسات الوصال) يشربونها ولكن تلك النفوس القدسية لا تنظر قطرة فى غير محلها من بحار الحب

(١) ولعل هذا ما عرف فى علم النحو ببدل الغلط .

الإلهي ، وإنهم يتلذذون بمجتمعات من كتوس (فلسافي القوم بالوالهي مئلاي) ولكنهم لا ينطقون بحرف يخالف الهدى النبوي ، إنهم أمة الهدى ومصايح الدجى ، المتبعون خطوات الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وعلى نوابهم إلى يوم القيام .

إن الرؤيا الثمانية التي رآها الشيخ خليفة ابن موسى نهر ملكي - قلنس سوه - تشير إلى مرتبة الإمام عبد القادر الجيلاني الرفيعة حيث إنه يقول : رأيت رسول الله - صلى الله تعالى عليه وسلم - فقلت له يا رسول الله لقد قال الشيخ عبد القادر الجيلاني : ((قدمي هذه على رقة كل ولي لله)) فقال : ((صدق الشيخ عبد القادر ، كيف لا وهو القطب وأنا أرفعاه)) (١) .

أقول وبالله التوفيق : إن خلاف الواقع يصدر من التلسان دوغما قصد حيناً وعن قصد حيناً آخر ، وقد نفى النبي - صلى الله تعالى عليه وسلم - أن يقول الشيخ عبد القادر الجيلاني خلاف الواقع وذلك بقوله - عليه الصلاة والسلام - ((هو القطب)) بمعنى أنه هو القطب ولا يليق ادعاء القطبية أمامه ، وذلك على أن التعريف للتخصيص ، وليس من شأن القطب أن يكذب فضلاً عن سيد الأقطاب - رضي الله تعالى عنه وعنهم

(١) بهجة الأسرار ومعدن الأنوار ، للشيخ علي بن يوسف بن جرير النخعي الشنفتوني ط : شركة مكتبة ومطبعة مصطفى الحلبي الباني بمصر ، دون سنة الطبع

أجمعين - أما إذلاء القول الذي يخالف الواقع دون عمد إثر نشوة الحب الإلهي فقد برز النبي - صلى الله تعالى عليه وسلم - موقف الشيخ عبد القادر الجيلاني من هذا الأمر بقوله : ((أنا أرفعاه)) كأنه يقول : أنا أرفعاه بالتقوى الحمدية وأثبت قلبه على الهدى ، كما أجعل قلبه ولسانه في اتباع الأنبياء ، فكيف يمكن أن يقول ابننا ما يخالف الواقع ، أو يدعى مثل أهل السكر بالدعاوى الخالية .

الحمد لله هذا هو المعنى - الذي يتناه آتفا - لما اشتهر عن سيدنا الشيخ عبد القادر الجيلاني ((قدمي هذه على رقة كل ولي لله)) وليس ما ذهب إليه واختاره بعض معاصرينا ، وإنهم استخرجوا معان لم يقصدها شيخنا الجليل (ثم استخرجوها ليذكروا فضل الشيخ عبد القادر الجيلاني ، وتفصيل ذلك في رسالة هذا العبد الفقير ((مخير معظم)) (١٣٠٣هـ) وفي شرح القصيدة المذحية ((أكسير أعظم)) (١٣٠٤هـ) .

يا هذا إن جلوس الشيخ عبد القادر على المنبر خير تصديق لقول الرسول - صلى الله تعالى عليه وسلم - ((أنا أرفعاه)) وهناك أمور أخرى تصدق مقولة الرسول - صلى الله تعالى عليه وسلم - المذكورة آتفاً منها تفضله - رضي الله تعالى عنه - على المنبر واتساع المنبر الشريفة مد البصر لورود تجلي الجمال ونحو جسده - رضي الله تعالى عنه - نحواً عظيماً ، ثم انكماشه حتى صار كالصغور وذلك نظراً لتجلي الجلال ، ثم ورود التجلي الأعظم عليه - رضي الله تعالى عنه - والذي لا يمكن تحمله إلا بقوة النبوة ثم تمائلة إلى الأرض إلى حد السقوط على الأرض فظهور الحبيب

المصطفى - صلى الله تعالى عليه وسلم - لإنقاذ من السقوط بالقوى
الإلهية التي كان الحبيب المصطفى - صلى الله تعالى عليه وسلم - يتمتع
بها^(١) وأمثال هذه الأمور مذكورة بالتفصيل في البيهجة المباركة وغيرها من
الكتب المعنية بسيدنا الشيخ عبد القادر الجيلاني ، وإنه - رضي الله تعالى
عنه - القائل : ما رفع المصطفى صلى الله تعالى عليه وسلم قدما إلا وضعت
أنا قدمي في الموضع الذي رفع قدمه منه ، (إلا أن يكون قدما من أقدام
النبوّة ، فإنه لا سبيل أن يناله غير نبي^(٢)).

ومما قلته في مدح سيدنا الشيخ

١ - لقد جاء الناج وعرش سليمان على نبينا وعليه الصلاة والسلام
من الشام إلى العراق ، السلام عليك يا وارث ملك سليمان .

٢ - إن قيامك بوضع القدم من حيث يرفع النبي صلى الله تعالى
عليه وسلم قدمه المباركة غير أقدام النبوّة فإنه لا سبيل أن يناله غير نبي .

٣ - يا رئيس ندوة ((كاسات الوصال)) يا من يرمي جرعة نصيبا
للأرض من كأس الكرام .

٤ - والعجب أن تاج قدمك على الرأس لتعون (ي ملك بغداد
وكأس عشقك في أفواه محبيك (أي يشربونها) .

(١) بيهجة الأسرار ، للشطنوفى ص ٩٨ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٢٢ .

٥ - لو أنك غر على بيت أظلمه الهم والحزن لتعالت هتافات
السُرور من الساحة ونزلت الأنوار من الجدران .

٦ - إن الروح فداء لرأسك المبارك ، وما أحسن سيادتك التي على
أرضها الرؤس ساجدة (لجلالة الله خالقك) .

٧ - لا أبهى الله رأس متصرد بحول رأسه عنك تكبرا ، فإن رؤس
السادة البارزين مفروشة تحت قدمك .

٨ - إنني أبهى كلامي بمدح رأسك المبارك فإن ما أقوله في مدح
رأسك المبارك كلام عادي للغاية ولا بد أن أخرج فكرة مدحك من رأسي
والسلام على قدمك من الرؤس الكثيرة .

٩ - مائة سلام على جمالك من أحمد رضا الصعلوك يا من تخلصت
فيه السيادة^(١)

(١) هذه ترجمة عربية لأبيات نظمها الإمام أحمد رضا خان بالفارسية في مدح الشيخ
عبد القادر الجيلاني .

يستعمل الشاعر منظومته هذه بالإشارة إلى مدى تأثير الشيخ عبد القادر
الجيلاني وتعليماته الصوفية في العالم الإسلامي مشبها ذلك بملك سليمان ، كما
يشير في البيت الثاني إلى مقولة الشيخ عبد القادر الجيلاني سالفة الذكر وفي
البيت الثالث يسلك الشاعر مسلك الرمز فيتحل من لامية المدح ورمز للحب
الإلهي ويسأله شيئا من هذا الحب مستشهدا بقول القائل : ((وللأرض من كأس
الكرام نصيب)) وهذه غاية التواضع كأن الشاعر أرض يسأل بمدحه الكرم ، وفي
البيت الرابع يذكر الشاعر قراءة مقولة الشيخ عبد القادر الجيلاني : ((قدمي =

خلاصة القول : إن سيدنا الشيخ -رضي الله تعالى عنه- يعد بحق إمام الفريقين ونظام الطريقين ، وسيد أصحاب الضحو ، والوارث الأكمل لسيد المرسلين -صلى الله تعالى عليه وعليهم أجمعين وبارك وسلم- لذا نرى أن الله تعالى حتى سيدنا الشيخ من شطحات السكر ، وأكرمه يجعل أقواله وأفعاله وأحواله وأعماله مباحة لأحباء الله ومطليبا للسنة ، فإنه لا يقول حتى يؤمر بالقبول ، ولا يعمل حتى يؤذن ، رضي الله تعالى عنه وأرضاه وخشنا في زمرة من تبعه ووالاه ، آمين .

ومع هذا وذاك هناك التجليات العظيمة والواردات الجسيمة التي يلقي عشر معشارها عامة الناس عن أنفسهم ، بيد أننا لا نجد عند سيدنا الشيخ عبد القادر غير الاطمئنان والاستقامة ، ولكننا في بعض الأحيان نرى منه عسك الاهتمام بالألفاظ حيث لا نجد الحفاوة ببعض القواعد العربية ، فليس هذا محل الاستغراب ، يا هذا لو كان الأمر كما قلنا فإن

- هذه على رتبة كل ولي لله - ونرى الشاعر من خلال البيت الرابع أنه يطلب من روح شيخه الجليل الكرم حيث إنه يرى ويعتقد أن الله تعالى أكرم أرواح الأولياء بقوة التصرف في الكون ، والبيت السادس يعرب عن حب الشاعر بالممدوح ، وما أهمل التعبير ، وفي البيت السابع يدعو الشاعر على من ينكر فضل ممدوحه ، وفي المقطع يعبر الشاعر عن عجزه عن مدح الشيخ الجليل النسي مالمكا مسلك التواضع ، والمنظومة تدل على حب الشاعر بالممدوح ، وثمته من ناحية اللغة الفارسية . تعلين من المترجم مختار أحمد سديدي كان الله له .

شيخنا أهمل جلبا من الأمور الزوائد والشكر لله تعالى الذي أنقذه من الزلات في الأمور التي تعد من أساسيات الدين وذلك خلال ورود التجليات الجسيمة والواردات العظيمة والحمد لله رب العالمين .

النكتة السابعة

في أن أولياء الله تعالى يلحنون عن عمد في بعض الأحيان ولهم في ذلك أسرار

إنه أمر غامض أن أولياء الله تعالى - قَدَسَ اللهُ تَعَالَى بِأَسْرَارِهِمْ - يلحنون عن عمد في بعض الأحيان ، ولهم في أمرهم هذا أسرار أنظارنا قاصرة عن إدراكها ، بحمدنا الشيخ كريم الله الجشتي الجيهان آبادي في كتابه الوفيات عن «صلاة الأسرار» أي الصلاة القوتية (وهي تمثل في التوسل بالشيخ عبد القادر الجيلاني إلى الله سبحانه وتعالى) وأنه بعد سرد الترتيب لهذه الصلاة يقول : ثم يصلي على حضرة النبي - صلى الله تعالى عليه وسلم - فردد الرابعة التالية ألفاً ومائة واحد عشر مرة

أيدركني ضيم وأنت ذعيري أظلم في الدنيا وأنت نصيري

فبار علي حامى الحمى وهو إذا ضاع في البيداء عقال بعيري

كل حاجة يظليها (من ربه بوسيلة الشيخ عبد القادر الجيلاني) فإنها تقضى ، وفي بعض الأحيان تظهر الروح الطاهرة للشيخ عبد القادر الجيلاني فرد على السؤال ، وأعلم أن في كلمتي حامى الحمى بعض الخلاف ، فإن الشيخ أبا يزيد يقول : إذا أراد الرجل زيارة الشيخ عبد القادر الجيلاني فعليه أن يقرأ حامى الحماء بكسر الحاء وفتح الهمة بدلاً من حامى الحمى ، وإذا أراد صداقة أحد ، أو حصول وظيفة أو الزواج بمعنى أراد حاجة تتضمن معنى الاتصال فعليه أن يقرأ بضم الهمة ، وإذا

أراد قهر الأعداء يعني طلب حاجة تتضمن معنى الكسر فيقرأ بكسر الهمة ، مع أن وزن البيت لا يستقيم لأن الألف المقصورة والممدودة لا تستقيمان مع الوزن ، كما لا غشيان مع التحليل الدخوى أيضاً ، فإن كسر الهمة (في كلمة الحماء) أنسب ولا يجوز فتح الهمة ، وكتب إلى الشيخ فريد ميرتي وهو يقول إنه يقرأ لفظ «الضم» مرلوفاً بالفاعلية ألف مرة ، بيد أن الشيخ أبا يزيد يقرؤه منصوباً على أنه التمييز من الضمير المستتر في «يدرك» وذلك على غرار رؤية رجلا . انتهى بلفظه الشريف .

لذا أوصى بعض المشايخ أن اللفظ يقرأ كما نقل عن أولياء الله الصالحين - قدس أسرارهم - ولا يغير اللفظ وإن كان اللحن يقرض لنفسه في ظاهري الأمر ، فإن لهم أسراراً لا نعلمها ، والبركة مطروحة فيما نطقوا ألسنتهم .

الفكته الثامنة

إهمال الأولياء الأجلاء والأئمة والعلماء الكبار في أمر العربية

إن الإلتصاف خير الأوصاف ، وعلى المتقصر من قسور القصيدة الحمرة المباركة أن ينظر في المتنوى المعنوى للإمام الأجل والعارف الأكمل سيدى ومولاي محمد بن محمد بن حسين جلال الملة والدين اليلخي الرومي - قدس سره الشريف - فإنه يجد في عباراته العربية ضمن الآيات أو الأشعار الكاملة أو المصاريح ، أو أجزاء المصاريح مئات الأمور لو رآها من منظور قواعد العربية حقيقة أو بنظر التقيص لا اعتبرها أخطاء ، هذا في العبارات العربية ، أما العبارات الفارسية فتجد فيها الفاظاً لا تعد ولا تحصى لو قرأناها بالنطق الصحيح لوقعنا في زخافات يرفضها النظم الفارسي ويكرهها الطبع والسمع السليمان ، ومن هنا فإنه لا يستطيع أحد غير الذي لم يعرف تعظيم الأولياء أن يصف الشيخ الرومي بعدم اليراعة في قول الشعر ، أو العاجز عن النظم اللطيف ، ومن الممكن أن يتقوه المعتمد على الشيخ الرومي (إر إصابته بالجنون ليتفنى عن الشيخ الرومي قيامه بتصنيف المتنوى المعنوى ، (نسى أقدم إلى حضراتكم بعض النظائر من القسم الأول (اللتح في العبارات العربية) قال (الشيخ الرومي) قدس الله سره وأفاض علينا نوره

ع : تا إليه يصعد أطياب الكلم .

ف : هكذا تعرج وتنزل دائماً *** ذا فلا زالت عليه قائما

ع : مرء محفى لدى طلى اللسان

ع : بازخوان فابين أن يحملنها

ف : سرامينا لكرديا بدان *** راز أصبحنا عرايا بخوان

ع : يشهد الله والملك وأهل العلوم

ع : كاه فقر أن يكن كفر كبير

ع : كفت بغمير كه عيناني تمام

ع : لحن خواندن لفظ حي على الفلاح

ف : كوني الله أكبر وآن شوم را *** سريرتا وادهد جان از غنا

ف : الكباسة والأرب لأهل المدر *** الضيافة والقرى لأهل التوبر

ع : ليك إذا جاء القضا عمى البصر

ف : أعط ما شاءوا وراموا وضهم *** ياظمينا ساكننا في أرضهم

ع : استعنو في الحروب يا ذو النبي

ع : كفت : المروء مع محبوه

ع : كل شيء ما خلا الله باطل

ع : كفت اليس الله بكاف عبده

ع : جون محبم حبب بهمى ويصم

وفي هذه المجموعة يجد القارئ الكريم نظائر القسم الثاني (اللعن في العبارات الفارسية) أيضاً ، إلى غير ذلك مما يكثر عدها ويطول سردها ، سبحانه الله ، ألم يكن الشيخ الرومي يعلم أن ثمة همزة مفتوحة بعد الفاء لا الألف في قوله : فأبين أن يحملها ، ألم يكن يعرف أن العين ليست ساكنة في : «(حى على الفلاح)» وليس على هذا ما تركنا ، حاشا وكلا إن الشيخ الرومي علمه غزير ، وكماله كبير ، وشأنه عظيم وقدره فخيم ، هذه الأمثلة التي قدمناها لا تتساوى شيئاً ، إنه - رحمه الله تعالى - كان ملماً بحقائق العربية ودقائقها قطعاً وجزماً ، وإنه أتى بهذه العبارات (التي أشرنا إليها) عن عمد ، وذلك لأنه كان مركزاً على إعادة المقاصد العالية ونظم الفرائد العالية ، فكان يتجنب الخلل في تحقيق هذا الهدف ، وكان يفضل الاشتغال بالأمور المهمة من الاهتمام بإصلاح الأمور التي تعد من الزوائد ، وأنا لا أدري ماذا يقول المتمرد على الشيخ عبد القادر الجيلاني عن الشيخ الرومي ، فإن كان يرغب في الطعن فعليه بالدقة الثالث من الجزء الأخير من المنصوي حيث يتحقق مطلبه ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم تعالى وتبارك .

البكتة التاسعة

إن الكمال في اللغة لا يعد من كمال أهل الكمال
بل يعتبر من الزوائد

يقول العبد الفقير إلى الله العلي القدير أن حقائق اللغة والعروض لا تعد من الكمال الديني ولا ينحصر عليها كمال ديني بل هي زوائد محضة ، فماذا ينقص بنفسها ، إن المقدمة الأولى تبين لنا أن الكفار شركاء في الإلزام بحقائق اللغة والعروض ، وهناك بون شاسع بين شعراء الإسلام وشعراء الجاهلية وذلك واضح في القرآن الكريم ، والله سبحانه وتعالى هو القائل عن الخبيب المصطفى - صلى الله تعالى عليه وسلم - : «وما علمناه الشعر وما ينبغي له» (١) أما المقدمة الثانية ليتجلى صدقها من حديث الرسول - صلى الله تعالى عليه وسلم - : «أنتم أعلم بأمور دينكم» أخرجه مسلم في صحيحه عن أم المؤمنين الصديقة وأنس بن مالك (٢) .

وفي حديث جابر بن عبد الله رضي الله تعالى عنهما : «أخرج علينا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ونحن نقرأ القرآن ولينا الأعرابي والعجمي فقال : اقرأوا فكل حسن وسيجيء الخوام يقيمونه كما يقام

(١) سورة يس ٣٦/٦٩ .

(٢) صحيح الإمام مسلم (كتاب الفضائل باب وجوب امتثال ما قاله شعرا

الخ) ج ٢ ص ٢٦٤ .

القدح يبعجلونه ولا يتأجلونه) رواه أبو داود^(١) والبيهقي في شعب الإيمان^(٢) وما هو معلوم أن لهجة الأعاجم والأعراب لم تكن من الفصاحة بمكان بمثل لهجة العرب ولكن النبي - صلى الله تعالى عليه وسلم - استحسن وقرر لهجتهم ، كما استكر التجويد الذي لا فائدة له والذي يهتم بالزوائد ويهمل المقصود ، والعياذ بالله رب العالمين .

تكریم سیدنا الشیخ عبد القادر بالفصاحة من رحاب النبى - صلى الله تعالى عليه وسلم - :

هل عدم المام الصحابة الأعاجم والأعراب باللغة العربية الفصحى مثل العرب المتأخرين يورث النقصان ؟ ثم ربنا - عز وجل - لم يحرم سيدنا الشيخ عبد القادر الجيلاني من فضل الفصاحة والبراعة في لغة الضاد .

انظروا في بهجة الأسرار حيث ورد أن سيدنا الشيخ عبد القادر الجيلاني رأى جده صلى الله تعالى عليه وسلم قدار بينهما حوار على النحو الآتي : يقول الشيخ عبد القادر الجيلاني : رأيت رسول الله - صلى الله تعالى عليه وسلم - فقال لي : يا بنى لم لا تكلم ؟ (أى لا تخطب) قلت : يا أباي أنا رجل أعجمي كيف أنكم على فصحاء العرب

(١) سنن الإمام أبي داود (كتاب الصلاة ، باب ما يجزى الأيمى والأعجمي من القراءة) ج ١ ص ١٥ .

(٢) شعب الإيمان ، ط : دار الكتب العلمية بيروت ، ج ٢ ص ٥٣٨ .

يغداد ، قال لي : المنيح فاك ، ففصحته ففعل فيه سبعا ، وقال لي : تكلم على الناس ، وادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة ، فصليت الظهر وجلست ، وحضرتي خلق كثير فارتج علي ، فرأيت علي بن أبي طالب يحرم الله تعالى وجهه قالما يزارني في المجلس فقال لي : يا بنى لم لا تكلم ؟ فقلت : (يا أباي له ارتج علي) فقال : (المنيح فاك) ففصحته ففعل فيه سبعا ، فقلت : لم لا تكملها سبعا ؟ فقال : تأدبا مع رسول الله - صلى الله تعالى عليه وسلم - وبعد هذا تفجرت بحار العلوم من صدره الشريف إلى لسانه الطاهر وأدنى بكلام فصيح سلس للغاية بطلاقة بالغة ، الأمر الذي جعل فصحاء العرب يتفادون ويتحنون لفصاحته ﴿ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم﴾^(٢) وثو كان سيدنا الشيخ تفضل بكلام لا يتسجم مع كلام العرب قبل هذا العطاء النبوي فذلك الكلام ليس بمحل القول والظن فيه ، ويمكن أن تكون الوقائع والأحداث التي ظهرت بعد العطاء المصطفائي من باب الإلقاء من الله سبحانه وتعالى والله سبحانه وتعالى أعلم .

(١) بهجة الأسرار ، للشطرنجي ، ص ٢٥ ، ٢٦ .

(٢) وهنا أورد الشيخ أحمد رضا خان بعض الأبيات الفارسية في مدح الشيخ عبد القادر الجيلاني مما نظمها أبو المعالي ، والغرض ، كما ذكر رباعية أردية نظمها العلامة المصنف بنفسه ، فرأيت ألا أورد هذه الأبيات الفارسية التي أعجبتني ألا أفعل من إبراز جمالها

النكتة العاشرة

لحن المحبوبين أحب من صواب الآخرين

لقد كان الكلام كله من منظور أن غرض الطاعن في القصيدة الحمزية هو نفى نسبتها عن الشيخ عبد القادر الجيلاني ، يعني أن الطاعن يرى أن في لغة هذه القصيدة كلاماً لذا لا يصح نسبتها إلى سيدنا الشيخ عبد القادر الجيلاني -رضي الله تعالى عنه- ولو كان طعنه في انقصيدة بعد إثبات نسبتها إليه -رضي الله تعالى عنه- فليكن السواب على وجه العصبية ، فإن هذا الرجل العصبي يجد جزاء عمله يوم الجراء . لأنه لا يظن في المحبوبين عند الله تعالى إلا شقى وعبيد ذو فساد في الدين والعبادة بالله من كل فساد .

يا هذا لو اعرفنا بلحن صريح في بعض الكلام لأحد المقربين إلى رب العالمين -جل جلاله- بغض النظر عن هذا وذاك فإن لحنه أحب إلى الله سبحانه وتعالى مائة ألف مرة من صوابك أنت ، اسمع ماذا يقول الشيخ الرومي -قدس سره- في -المصنوع المعنوي- إنه القائل : إذا كان حديثك غير مستقيم (أي من ناحية القواعد) والمعنى سليم فإنه مقبول عند الله تعالى ، وإذا كان الزيف في المعنى والكلام مرصع فلا يلبس ذلك الكلام بشيء من الخفاوة .

في بيان أن خطأ المحبين خير من صواب غيرهم :

يقول الشيخ الرومي -رحمه الله تعالى- : ذلك بلال الصادق الذي كان يلحن في الآذان للصلاة فيغير حتى ويقول هي ويؤذن بكل الواضع

حتى قال أصحاب الرسول -صلى الله تعالى عليه وسلم- إن هذا اللحن (هي) غير مستقيم ولحن في مستهل عهد الإسلام .

قالوا أيها النبي الرسول -عليك الصلاة والسلام- نريد مؤذناً أفصح من بلال ، فإن اللحن في حي على الفلاح في بداية عصر الإسلام ليس إلا عيباً ، فظهرت آثار الغضب على رسول الله -صلى الله تعالى عليه وسلم- وكشف الغطاء عن بعض العطايا الإلهية السرية على سيدنا بلال قاتلاً : إن لحن بلال أحب إلى الله سبحانه وتعالى من مائة حي على الفلاح من غيره من الطاعين في لحنه فلا ترفعوا أصواتكم حتى لا أفشى أسراركم من البداية إلى النهاية .

اللهم إني أعوذ بك من جهد بلاك ، وأسألك حسن الأدب مع جميع أوليائك ، آمين ، آمين ، آمين ، إله الحق آمين ، والحمد لله رب العالمين .

تنبيه قبيح (١)

الحمد لله سبحانه وتعالى ، فقد وصل الكلام نهايته ، وبلغ ارتباط رتاب منتهاه ، ولقد بقي أن أبين أن حديثي هذا من البداية حتى النهاية كان بناء على الافتراض بأن في القصيدة الخمرية بعض المخالفات لقواعد العربية ، فليتظر المتكر لفضل سيدنا الشيخ في افتراضنا بعض الأخطاء اللغوية في القصيدة الخمرية ولكن بركات الشيخ عبد القادر أبدتني فاستطعت أن أجعل إنكار المنكر هباء منثورا ، وإنما نريد أن نفتح الطاعن فعليه أن يخبرنا بما يخلج في خاطره بالتفصيل حتى نسط له الكلام ونتمتع بالمزيد من بركات سيدنا الشيخ عبد القادر الجيلاني ، يا هذا لا تستحي في إبراز عواطرك حتى نعرف ماذا في الخمرية من الأغلاط والتي يسيبها ترطب الصيحات ، أرجو أن يتجلى الحق للطاعن في لغة القصيدة بإذن الله القادر سبحانه وتعالى .

يا هذا إن الإنسان يظن الصحيح غلطا بسبب جهله وذلك في أمر الخيبيين عند رب العالمين - جل جلاله - وصدق المتنبى حين قال :

وكم من غائب قولا صحيحا وآفته من الفهم السقيم

(١) إن هذا التنبيه يتوجه إلى من ينفي نسبة الخمرية إلى الشيخ عبد القادر الجيلاني ، وبالتالي إلى الذي يظن في لغة القصيدة مع إتيان نسبتها إلى سيدنا الشيخ ، ولكن هذا التنبيه يتوجه بصفة خاصة إلى الطاعن في لغة القصيدة (تعليق من المصنف) .

وإن أهل العصبية والعداء يمارسون الطعن في أهل الحق ، وتصفرون وجوههم عندما يطلب منهم ما يثبت دعواهم وذلك على حد قول الشاعر:

كفرائر الحسنة قلن لوجهها حسدا وبغضا إسه لديم

يا هذا عليك بنفسك حتى لا يتبين غياؤك وجهلك بالعلوم والحرمان من الوصول إلى المفاهيم ، والوقوع في الخطأ حيث قال القائل :

يا ناطح الجبل العالي ليكلمه اشفق على الرأس لا تشفق على الجبل

ويقول هذا العبد الفقير إلى الله العلي القدير [في بيت فارسي ما معناه كالتالي] : يا من يضرب الجبل برأسه حتى يجعله مثل الشعر ، لا تشفق على الجبل اشفق على رأسك

إن هذا العبد الضعيف - غفر الله تعالى له - نظر في القصيدة الجيدة نظرة تفصيلية - والحمد لله تعالى - لم يجد من أولها إلى آخرها موقعا يوصف بالخطأ ، وذلك بعد إحاطة مسائل الأدب ، واللغة العربية ، ومجزيات الشعر ، وفن العروض ، ونقاط المعاني ، ولطائف الفكر الصائب والنظر الثاقب ، اللهم إلا موقعا رفع فيه الشك رأسه ، ولكن هذا الشك سوف يزول ببركة اتساعنا إلى الشيخ عبد القادر الجيلاني - إن شاء الله تعالى - ولو الافتراض بقاء شبهة في موضعها فلا يجعله سببا للطعن في القصيدة إلا جهول ، والذي يدخل نفسه في مثل هذه المطاعن ماذا يفيد من الصحاح الستة ، والشفاء للمقاضي عياض ، والهداية ، والفتاوى

الخاتمة ، والإشباه والنظائر ، والدر المختار ، وغيرها من جلال الأسفار
والتي سبق أن ذكرناها ضمن النكتة الثانية ، ثم ماذا تكون مرتبة هؤلاء
الأعلام في نظر ذلك الجهول عن منزلة تلك الصفوة المختارة .

أسأل الله العليّ القدير أن يلهمنا بوسيلة محبوبه حب الأولياء
والعلماء ، وأن يعلمنا حسن الأدب معهم ، ويمتنا على الدين الخفيف والملة
البيضاء ، إنه ولي ذلك والقدير عليه ، والخير بيديه ، والأمر إليه ،
وصلّى الله تعالى وبارك وسلم على المولى الرؤف الرحيم الأكرم وآله
وصحبه سادات الأمم ، وابنه الكريم ، الفوت الأعظم (الشيخ عبد
القادر الجيلاني) وعلينا بهم ، يا أرحم الراحمين ، والحمد لله رب العالمين
آمين ، آمين يا أكرم الأكرمين ، سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا
أنت ، أستغفرك وأتوب إليك .

كتبه : عبده المذنب أحمد رضا البريلوي عفى عنه بمحمد المصطفى
النبي الأُمّي صلى الله تعالى عليه وسلم .

فرغت من تعريب هذه الرسالة في ٢٨ من شهر ربيع الأول
١٤٢٠ هـ الموافق غرة يوليو ٢٠٠٠ م . أسأل الله سبحانه وتعالى - أن
يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم ، رب اغفر لي ولوالدي ولأساتذتي
ومشاغبي وللمؤمنين يوم الحساب .

الفهرس

٣	التعريف بالمصنف وتأليفه
١٣	تقريب لفضيلة الشيخ محمد القادري الشامي
١٨	مقدمة المصنف .
٢٢	سند القصيدة الحمزية
٢٧	النكتة الأولى في الاحتفاء بقواعد اللغة العربية وإعمالها
٣١	النكتة الثانية بيان عدم الاهتمام ببعض الأئمة بقواعد الإعراب
٤٩	النكتة الثالثة في كون اللغة العربية غير اللغة للعالم
٥٢	النكتة الرابعة في أقسام الفن وأحكامه
٥٥	النكتة الخامسة الضرورات الشعرية وآفاقها الواسعة
٥٩	النكتة السادسة السبب النفيس لصدور ذلك من الأولياء
٦٨	النكتة السابعة في أن الأولياء يلحنون عن عمد لبعض الأسرار
٧٠	النكتة الثامنة في إهمال الأولياء والأئمة في أمر العربية
٧٣	النكتة التاسعة الكمال في اللغة لا يعد من كمال أهل الكمال
٧٦	النكتة العاشرة لمن المحبوبين أحب من صواب الآخرين
٧٨	تنبيه نبيه

ألغت هذه الرسالة في الذب عن لامية الشيخ عبد القادر الجيلاني رضي الله تعالى عنه - والتي عرفت بالخميرية في الأوساط الصوفية وقد سلكناظمها فيها مسلك الرمزية كغيره من شعراء الزهد والتصوف ، إذ أنهم ذكروا الخمر في قصائد هم الوجدانية معبرين به عن مواجيدهم ومدى نشوةهم عند تناولهم كشوش الحب الإلهي ، و مؤلف هذه الرسالة يثبت و يقر نسبة الخميرية إلى الشيخ عبد القادر الجيلاني أولاً ثم يرد على من يطعن في لغة الخميرية بحجة اللحن فيها ، وقد ذهب المؤلف إلى نفى أي لحن في القصيدة ، ثم عطف على حكمه هذا بقوله : إذا فتر ضنا اللحن في الخميرية فلا يعني ذلك أن ننفي نسبتها إلى مولانا الشيخ عبد القادر الجيلاني ، فإن كثيراً من الشعراء الأحناء والأئمة العلماء لحنوا في بعض الأحيان دون عمد و ذلك لانكياهم على المعاني التي هي كالروح للألفاظ ، إنها قضية اللفظ والمعنى التي أثارت جدلاً واسعاً بين البلاغيين منذ عبد القاهر الجرجاني إلى يومنا هذا ، فمنهم من يهتم باللفظ أكثر منه بالمعنى ، ومنهم من يركز على المعنى دون السبغة في الاحتفاء باللفظ ، ومن هنا نريد أن نقول : إن مؤلف هذه الرسالة يهدف إلى الدفاع عن الخميرية بإثبات نسبتها إلى الشيخ عبد القادر الجيلاني ، و نفى اللحن عنها ، ويبرء الخميرية عن اللحن الذي زعمه بعض الناس في عصره ، ولا يدعو إلى اللحن في العربية لآمن قريب وآمن بعيد ، والله من وراء القصد وهو حسبي ونعم الوكيل .